زهرة البنفسج

فاطيما أبوزيد

زهرة البنفسج
فاطيما أبوزيد
تصميم الغلاف : عبير محمد
تدقيق لغوي: عبدالله أبو الوفا
رقم ايداع:
ترقيم دولي:

دار فصلة للنشر والتوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla.pub@gmail.com
FB .Com/Fasla .Pub

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الاولي يناير ٢٠١٨

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

زهرة البنفسج

فاطيما أبوزيد

فصلة
للنشر و التوزيع
Fasla Publishing & Distribution

إهداء

إلى روح (أبي) حبيبي الذي لطالما كنت أتمنى أن تكون معي في تلك اللحظات وأرى بعيني مدى سعادتك بي، ولكنك قد رحلت قبل ذلك، لذا أهدي إليك بكل حب أول أعمالي.
اشتقت إليك حقًا يا من كنت لي سندًا في الحياة. (بحبك يا بابا)

إن زهرة البنفسج زهرة جميلة كباقي الزهور، لها رونق وجمال يفتن العيون ويسرق القلوب، ولكن دائمًا يرمز لها بالحزن، ويلقبونها بالزهرة الحزينة، ويستخدمونها كتعبير عن حزنهم، يترك على قبور أحبائهم عندما يرحلون هكذا اكتسبت لقب «الزهرة الحزينة» .
أما هذه المرة ستصبح رمزًا جديدًا للانتقام والحرية والحياة، وعطرها سيرسم خطوط العشق الشغف والجنون وهذا هو المفهوم الجديد لزهر البنفسج .

خوف وترقب

صباحًا جديدًا وهادئ ككل صباح على مملكة (أشمهور)، وفي قصر المملكة الذي يمتاز بجماله ودقة وفخامة تصممه الذهبي، كأنه قطعة ضخمة مصنوعة من الذهب الخالص، الذي يعكس أشعة الشمس الذهبية الساقطة على جدرانه المزخرفة برسومات وحروف تسجل تاريخ (أشمهور) العظيم من بطولات وانتصارات، تدل على عظمة (أشمهور) وأمجاد شعبها العظيم القوي الباسل، ليجعل هذا البريق المشع من القصر كأنه هالة ضخمة من الضوء الذهبي القوي .

وفي غرفة الملك الصادق حاكم المملكة كان يستعد للقيام بدوره كحاكم مثل كل يوم وكالعادة كانت معه زوجته لؤلؤة، التي كان دائمًا يناديها بلؤلؤة قلبي كما يحب، كانت تساعده على ارتداء ثوبه الملكي الفخم، بحلته الأنيقة السوداء المخملية المطرزة بخيوط من ذهب، وعمامة رأسه المصنوعة أيضًا من نفس القماش المخملي الناعم، والذي تزينه في الوسط ماسة كبيرة فيروزية اللون، كان يبدو على وجه الملك القلق والاضطراب، الذي لا يتناسب مع قسمات وجهه الهادئة وملامحه الوقورة، التي تبعث في نفس كل من يراه الراحة والطمأنينة، لاحظت لؤلؤة تلك التعبيرات على وجهه، وضعت يديها الرقيقة على وجهه بحنان لتسأله بقلق.

لؤلؤة: ما الذي يقلق حبيبي ويجعل ملامحه الجميلة مضطربة هكذا؟

تظهر على وجهه ابتسامة صغيرة وكأنه يطمئنها، ويمسك بخصلات شعرها الطويلة السوداء وهو ينظر في حدقتي عينيها البنية التي تشبه حبة القهوة المذابة في كأس من الحليب الصافي، ليردف بصوته الرزين الحنون.

الصادق: لا تخافي يا لؤلؤة قلبي على حبيبك، كل ما في الأمر أنني قلق على الملك مداح.

لؤلؤة بتساؤل: حاكم مملكة (سدرام)؟
أخرج تنهيدة حارة من صدره ليردف:
أجل هو، وما يجعلني مشتت التفكير هو أنه حتى لم يرسل لي رسولًا؛ ليخبرني بما حدث هناك كما اتفقنا في آخر اجتماع لنا معه، حقًا لا أعرف ما الذي حدث.
تحركت ناحيته قليلًا معللة سبب غياب الملك مداح لتطمئنه قائلة: ربما يكون مشغولًا في تحصين مملكته من تجهيز جيشه وتدريبه وتسليحه كما نفعل نحن يا عزيزي.
شرد ببصره للحظات ثم قال:
من الممكن أن تكوني محقة يا عزيزتي، ولكن زيادة في التأكيد سأرسل النوري ورئبال، ومعهما فرقة استطلاع لأطمئن فقط أن مملكة (سدرام) ما زالت على حالها قائمة ولم تهاجم، كل ما أخشاه أن يكون ما أظنه صحيح.
أردفت في قلق: وما الذي تظنه؟

***

ضياع (مملكة سدرام).

أما في مملكة سدرام أتى صباح هذا اليوم عليها باهتًا مثل باقي الأربعين يومًا السابقة، حزينًا يحمل كل معاني القهر والألم والانهيار، لقد تم اغتصاب أرضها وانهزم شعبها شر هزيمة، وانكسر حصنها المنيع، ضاعت هيبتها وكل هذا أصبح واضحًا وضوح الشمس على أهلها، الذين قد فقدوا كل الآمال للعيش بكرامة مرة ثانية، لقد انتهك شرفهم واستبيحت دمائهم، وأصبحوا أذلاء على أرضهم، وهذا هو نفس حال قصر المملكة، الذي بدا وكأن الأشباح تسكنه، تلك الأشباح العفنة النتنة التي تلوث وتغير معالم وملامح كل ما هو جميل بهمجيتهم وقذارتهم، لقد انقلب الحال بعد أن كنت قاعة القصر الكبيرة يجتمع بها حاكم المملكة وكبار المسؤولين يتناقشون في أمور المملكة وشؤونها وحمايتها وأمنها، أصبح من يجتمع بها الآن هؤلاء المغتصبون الحثالة، الذين يلقبون أنفسهم بلقب جيش النورس المظفر.

وعلى كرسي الحاكم الفخم المصمم بكل إتقان وحرفية يجلس عليه من يلوثه ويمحو أثر حاكمه القديم، كأنه يثبت صك ملكيته لهذا الكرسي إنه قائدهم نورس كبيرهم وأعظمهم كما يحب أن ينادوه، يجلس نصف مسطح رافعًا قدميه على مسند الكرسي ممسكًا بكأس من النحاس مملوء بالنبيذ ويرتشفه دفعة واحدة، لتنزل بقية النبيذ على لحيته تبللها غير مبالٍ حتى بمسحها.

ليردف وهو يتجشأ: آه، يا للسماء هذا ما يجب أن يطلق عليه خمرًا بحق، ألستُ على صوب يا مستشاري العزيز راوس؟

يجب عليه راوس في هدوء وهو يرتشف من كأسه كأنه ينحدر من عائلة أرستقراطية، عكس قائده الهمجي: أجل عظمتك هو كذلك.

يهب نورس واقفًا من جلسته بجسده القوي وقامته الفارعة، وهو يمسح على رأسه الأصلع بكف يده الخشنة الضخمة ويقترب من راوس المتكئ بظهره على

أحد أعمدة القاعة، اقترب منه بخطوات واثقة ونظرات عينيه الوحشية الثاقبة متحدثًا إليه في لوم وهو يضع أحد كفيه على كتف راوس:
لما تلك الرسمية في حديثك معي يا صديقي؟ أنسيت أنك صديقي الوحيد وأخي الذي لم تمنحني إياه السماء؟
راوس مبتسمًا: أجل أعرف هذا وأعلم مدى حبك ومعزتي عندك، ولكن من الممكن أن يدخل علينا أي أحد من أتباعنا وأنا لا أريد أن تهتز هيبتك يا صديقي نورس.
نورس بابتسامة واثقة مغترة: لا تخف لن يجرؤ أحد على هز عرش هيبتي وعظمتي، عظمة نورس الذي يتردد اسمه على ألسنة كل المقهورين والمنهزمين.
يستدير بظهره ليقف أمام نافذة زجاجية من نوافذ القاعة وهو يشبك ذراعيه خلف ظهره محدقًا للخارج بنظرات مظلمة متوحشة، ليردف بغرور: فأنا من قام بقهرهم وهزمهم وجعلت منهم أشباه بشر منكسرين.
ليضيق نظراته القاسية مستطردًا: ولم ولن يخلق من يهز عرشي أو يهزمني أبدًا.

***

اجتماع مغلق.

أمام منضدة خشبية كبيرة مستطيلة الشكل، محملة بالكثير من الأدوات والمعدات، التي تستخدم في تركيب الأدوية والعقاقير والعطور، التي تستخرج من المواد الطبيعية كالزهور والنباتات والأعشاب وكل ما تملكه الأرض من دواء لكل داء، تقف أمام تلك المنضدة فتاة ضئيلة الحجم التي يميزها شعرها الكستنائي المموج الطويل، الذي يكاد أن يصل إلى خصرها النحيل ويظهر عليها الانهماك والتركيز الشديدين فيما تفعله من نظرات عينيها العسليتين الواسعتين وملامح وجهها الخمري، الذي يحمل نفس ملامح أمها لؤلؤة في قسماته الصغيرة وهي تتحرك بخطوات متثاقلة بسبب إحدى قدميها العرجاء، التي دائمًا تعوقها في التحرك والمشي، لتنظر لها وصيفتها التي دائمًا ترافقها في كل مكان تقف بجانبها تتابعها بنظرات الإعجاب والابتسامة مرسومة على ثغرها

لتردف الوصيفة مبتسمة: ألم يحن الوقت يا أميرتي نور من الانتهاء من تركيب هذا الدواء؟

أومأت نور برأسها بالإيجاب وهي تجيب عليها مبتسمة:

نعم انتهيت أخيرًا من تحضيره، ولكن هذا ليس دواء يا بنان أنما هو مركب مستخلص من بعض الأعشاب والنباتات المنومة.

التفتت ناحيتها وهي تغمز بعينها وهي تقول بخبث: دعيني يا بنان أجربه عليكِ، هيا لا تكوني خجولة وسو....

تراجعت بنان فجأة في حركة سريعة للوراء، ويبدو على ملامح وجهها الجميل الفزع، وهي تقاطعها بسرعة: لا، لا يا أميرتي أنا لستُ خجولة أو حتى خائفة، لما لا تجربيه على أحد غيري؟ أو حتى على الأمير النوري؟ فهو كما تعلمين يا أميرة أكثر من له خبرة في مجال تركيب الأدوية وغيرها، وسوف يخبرك برأيه بعد أن يفيق عندما تجربيه عليه، ها ما رأيك بهذا الاقتراح؟

تطلعت إليها نور وهي تضحك مندهشة من ردت فعلها لتردف بمرح: أنتِ حقًا مضحكة، لم أكن أعرف أنك جبانة لهذه الدرجة، أما بالنسبة لاقتراحك هذا سأقوم به وفي الحال، ولكن ليس على النوري فقط بل على ربئال أيضًا ولكن أتعرفين أين هما الآن؟

بنان بصوت هادئ نسبيًا: إنهما الآن مع مولاي الملك الصادق مجتمع بهما في القاعة الرئيسية، لكن هذه المرة اجتماع مغلق لا يوجد مع الملك سواهما ومولاتي الملكة لؤلؤة فقط.

سرحت نور ببصرها قليلًا لتردف بقلق:

-عجبًا اجتماع مغلق! ولما لم يطلبوني هذه المرة، أحدث سوء ولا يريد أحد منهم إخباري، حتى أمي لا تخبرني عنه.

أجابت بنان وهي تحاول بث الطمأنينة في قلب أميرتها:

-ربما يتحدثون في شؤون المملكة، أقصد تلك الأمور العادية المعروفة فقط لا أكثر.

غمغمت نور وهي تزفر في قلق: آمل ذلك حقًا.

***

المهمة

يجلس الملك الصادق على كرسي عرشه وهو يقلب عينيه الثاقبتين بين هذين الشابين الوقفين أمامه تارة، ويبدو الشرود والتركيز على ملامح وجهيهما وزوجته تارة أخرى، التي تنتظر أيضًا مثله الرد، ليكسر هذا الصمت النوري بصوته الرزين الذي لم يرثه من أباه الملك أيهم الأخ الأكبر للملك الصادق، وكان هو الحاكم قبل هذا الوقت، ولكنه قد ورث منه ملامح وجهه الرجولية، وقسماته المنحوتة، وبشرته السمراء، وطول قامته الفارع، وجسده القوي، ونظرات عينيه البنية الثاقبة أيضًا، ولكن لم يأخذ أي صفة من صفات شخصيته المتسرعة وعدم تأنيه، فقد كان التسرع هو طريقه في الحياة، والذي أدى ذلك إلى موته في إحدى معارك المملكة ضد الغزاة، والتي انتهت بانتصار مملكة (أشمهور)، وكان من الانتصارات الموجعة، التي تركت أثرًا مؤلم في قلب الأسرة الحاكمة، وشعب (أشمهور)، وخاصة في قلب زوجته الجميلة أثير، التي كانت تحمل في أحشائها طفله الأول، ولكنها لم تصمد أكثر، فبعد ولادتها لالنوري تركته وحيدًا، ورحلت إلى حبيبها أيهم، وتولى تربيته عمه الملك الصادق، مما جعله يكتسب منه شخصيته الهادئة الرزينة، وأصبح الابن البكر بالنسبة له، وهو في مقام أباه.

ليردف النوري بنبرة هادئة: إن ما سمعته منك يا أبي يقلق بحق، فقد كان اجتماعنا الأخير به منذ شهر وعشرة أيام، وتلك المدة لن يستطيع حقًا تدريب وإعداد جيشه مرة ثانية بعد أ....

قاطعه رئبال، بنبرة صوته العالية:

ولما لا فإذا استطعنا نحن ذلك من تجهيز جيشنا وتدريبه في تلك الفترة القصيرة هو أيضًا يستطيع.

أجابه النوري بنفس النبرة الهادئة: لا تنس يا رئبال نحن أيضًا نحاول ذلك، فبعد المعركة الأخيرة التي كانت منذ خمسة وعشرين عامًا، وقد كان كل من أبي

والملك مداح يحاول جمع شتات جيشه وتسليحه وتدريبه مرة ثانية، حيث كل من المملكتين عانى الكثير من الخسائر في الأسلحة والمعدات والخيول.
صمت للحظة وبدأ على وجهه الحزن ليستطرد حديثه:
- ولا تنس أيضًا الخسائر البشرية، فقد خسر الملك مداح ابنيه الاثنين، ونحن خسرنا أبي الملك أيهم، ووراءه أمي، فقد أثر ذلك علينا تأثرًا سلبيًا جعل المملكتين تهويان في أعوام من الحزن والألم.
عم الصمت على المكان للحظات، ليردف بعدها رئبال في حزن ممزوج بالحيرة:
ولكننا الآن نحاول، بل بالفعل بدأنا وبالتأكيد هذا ما ينطبق أيضًا على مملكة (سدرام).
يرد عليه النوري بسرعة: لا ينطبق هذا على مملكة (سدرام).
يرمقه رئبال بنظرة استغراب واستنكار مما سمعه، ليستطرد النوري حديثه على تلك النظرة التي يعلمها جيدًا قائلًا:
-المسألة مختلفة؛ لأن مملكة (سدرام) يوجد بها أكثر من خائن متربص للملك مداح، وهو وحده الآن، أما نحن نكمل بعضنا ونساند بعضنا البعض، ولهذا قد كان اجتماعنا الأخير معه يطلب منا مساعدته في كشف الخونة والتخلص منهم، لكن للأسف لم يمهلنا الوقت لنساعده كان علينا أولًا تحصين مملكتنا.
عبس وجه رئبال بدرجة ملحوظة، جعلت أباه يلاحظها ليوجه حديثه له في لهجة أمرة:
-رئبال لا داعٍ لهذا التسرع، ولا تستبق الأحداث.
زم رئبال فمه وتنهد بعمق ليهدئ نفسه قليلًا ليردف بهدوء نسبي:
- حسنًا، هيا بنا يا نوري لنذهب لمملكة (سدرام)؛ فالرحلة من هنا إلى هناك ستأخذ منا وقتًا طويلًا.
هتف فيه النوري: لا، سأذهب أنا مع فرقة الاستطلاع، ابق أنت تابع تدريبات الجيش وأكمل تحصين المملكة.
صوب نظره تجاه الملك الصادق بصوت هادئ:
- سأذهب وسآتي إليك يا أبي بالخبر اليقين إن شاء الله.

لينظر إليه كلٌ من رئبال والملك الصادق وابتسامة واثقة ترسم على ثغريهما، يخرج النوري من القاعة عازمًا على أن يأتي بخبر من مهمته القادمة بعد أن أيقن ثقتهم به، والتي دائمًا تكون معهودة منهم إليه.

***

الوعد الصادق

انطلق النوري وهو يسرع من خطاه عبر ذلك الممر الطويل ليخرج من القصر متجهًا إلى مقر الجيش، لتوقفه نور بصوت متهدج مبحوح من خلفه.
نور بنبرة متعبة: انتظر يا نوري.
استدار بجسمه للخلف ليراها تلهث وهي تحاول الإسراع من خطواتها المتثاقلة لتلحق به، يتجه نحوها بخطوات واسعة يكاد أن يعدو إليها، يتوقف كلٌ منهما بمنتصف الطريق لتستند بكفها الصغير على صدره وهي تلهث، ليحتضن وجهها الرقيق الصغير بين راحتي يديه في حنان وهو يحدق بها بعدم استيعاب.
ويسألها بلهفة: ماذا بك يا نور؟ أأنتِ متعبة؟ شيئًا ما يؤلمكِ؟ أأنتِ بخير؟ أجبيني، لا تتركيني هكذا قلق، هيا أجيبي.
زفرت في هدوء لتهدأ أنفاسها المتلاحقة وضربات قلبها السريعة لتستطرد قائلة: اهدأ قليلًا، ودعني أخبرك ماذا أريد.
ترفع يديها عن صدره وتقوم بفك كيسًا مصنع من القماش متوسط الحجم، وهو يرقبها في صمت، لتخرج من الكيس قارورة صغيرة يمتلئ نصفها بسائل وردى اللون، ليرتفع حاجبه للأعلى متعجبًا، رفعت رأسها إليه بتحدٍ وهي تسأله في لهفة:
- ما رأيك؟
- رأي بماذا؟ بقارورة عطر نسائي؟ حقًا تسألنني عن هذا؟ وما شأني أنا بعطر للنساء ها؟
رمقته بنظرات غاضبة لتشده من ياقته، ينزل على أثرها إلى مستواها وترفع القارورة أمام نظريه وهي تهتف بحدة:
- حدق بعينيك جيدًا أهذا يبدو عطرًا نسائيًا بالنسبة لك؟
يضيق عينيه يتفحص هذا السائل الوردي اللون، ولكن دون جدوى ليردف بنفاد

صبر:
- افتحيها؛ أريد أن أشتم رائحته، هيا أنا لا أملك من الوقت الكثير.
هزت رأسها نافية، وقالت بسرعة:
- لا، لن أفتحه إنه ليس عطر، أنما هو منوم.
في تلك اللحظة جاء إليهما رئبال ومعه أمه الملكة لؤلؤة، يهتف رئبال بنبرة حادة عالية: نور اتركيه يذهب، فهذا ليس وقت المزاح.
لوت فمها بضيق لتقول: ومن قال لك أني أمازحه، أردت أن أريه شيئًا مهمًا ليس أكثر، إنما من يفضل المزاح هو أنت، وليس أنا.
اشتعل وجهه غضبًا، لكنه هدأ فجأة عندما لمح بنان قادمة نحوهم، لتظهر على ثغره ابتسامة هادئة يلمحها كل من نور والنوري، ليردف النوري بهدوء: سأذهب أنا الآن لكي لا أتأخر.
ليصوب عينيه ناحية نور مستطردًا:
- أما أنتِ يا نوري الصغير، فقد أثبتِ مهارتك وأوقعتِ بي أنا، لتخدعيني وتجعليني أظن أنه عطر نسائي وليس منوم، بهذا قد وصلتِ إلى مستوي يا نوري الصغير، لن أقلق عليكِ بعد الآن بل سأقلق منكِ.
قالت نور بخوف: لكني لم أصل بعد لا تتركني وحدي.
أجابها هو يبتسم بحنان: لن أتركِ أبدًا سأكون دائمًا بجانبك.
***

قارئة الكف

تنفس نورس الصعداء وهو يقف في شرفة القصر ونظرة متفشية تظهر في عينيه القاسية ليأتي صوت أنثوي من جانبه:
- كلما أراك وألمح تلك النظرة على وجهك يزيد عشقي وهيامي بك أكثر وأكثر يا ملك.
نظر لها بطرف عينه قائلًا في جمود اعتادت عليه:
-ألم أقل لكِ أكثر من مرة يا ريفال ألا تناديني بلقب ملك مرة ثانية؟
تحركت إلى أن أصبحت قبالته لتردف بدلال:
-أنا زوجتك وحبيبتك، ولكن إلى الآن لا أعرف سبب كرهك لهذا اللقب، إن لقب ملك به عظمة وقمة في النصر والفخامة وأيضًا أاا...
قاطعها بنبرة عالية تحمل مدى سخطه وسخريته:
-تريدين أن تعرفي لما أبغض هذا اللقب حسنًا، قولي لي الآن، أجبيني كم مملكة هزمناها؟ وكم من ملك كسرناه؟
تكاد أن تتكلم لكنه قاطعها بسرعة ليستطرد بسخرية:
- أين هم الآن هؤلاء الملوك العظام؟ أصحاب الأمجاد والانتصارات ها أين هم؟ إنني أدركت من بداية انتصاراتي وحروبي أن لا شيئًا يبقى تحت يدي أي ملك، إنما كله سراب مجرد سراب، لهذا لقبي هو جلالتك وعظمتك لا غير، أفهمتِ جيدًا؟
أومأت برأسها بالإيجاب وهي تحدق به ليردف قائلًا وهو ينظر إليها برغبة:
-دعينا من هذا واجعليني فقط أنظر إليكِ، وأمتع عينيّ بملامحك الجميلة، وأغرق في بحر عينيكِ الزرقاء، وأقترب من تلك الشفاه الكرزية الرقيقة، وأمسك بخصلات شعرك الأسود اللون الحريري.
هزت كتفيها في دلال علامة على رفضها وهي تبتعد عنه لتدلف للداخل لتضحك

في خلاعة وأردفت:
- ليس الآن يا عظمتك الآن هو وقت معرفة الغيب.
تسللت نظرة الدهشة على وجهه ليسألها في دهشة:
- معرفة الغيب؟ كيف هذا؟ هل غيرتِ مهنتك من زوجتي إلى عرافة مثلًا؟
قالت ريفال مداعبة: لا بل سآتي لك بعرافة تخبرك وتخبرنا جميعًا عن المستقبل، هيا بنا الآن نذهب لنراها.
تشده من ذراعه ليلاحق بها إلى مكان العرافة، يدخل كلٌ من ريفال ومعها نورس إلى قاعة الاحتفالات بالقصر، ليقف بها كل الموجودين مرحبين بعظمته وزوجته، ويأخذ راوس بيده وهو مبتسم له ليوصله إلى كرسيه ليسأله نورس مستغربًا:
- وما سر كل هذا الاهتمام يا راوس؟ هل حلمت بي مثلًا؟ ولكننا كنا مع بعض منذ قليل إما من الممكن أن تكون حلمت واقفًا.
يرد عليه راوس ضاحكًا ليستطرد:
أولًا إن الاهتمام بجلالتك ليس بغريب؛ فأنت نورس العظيم قائد جيشنا وقاهر الملوك، وثانيًا وهذا الأهم.
صمت لبرهة ليساعد نورس على الجلوس ليستطرد بنفس الأسلوب:
-أنت نورس الذي سوف يبقى دائمًا نورس العالم، لا قبله ولا بعده، فأنت أعظم القادة على مدى تاريخنا.
ليمسك بكأس مليء بالنبيذ ويرفعاه عاليًا مستطردًا قائلًا:
- ليرفع كل الموجودين كؤوسهم نخبًا باسم قائدنا العظيم نورس، هيا الآن.
رفع كل الموجودين كؤوسهم نخبًا باسم نورس صائحين في نفس واحد: يعيش العظيم نورس، يحيا نورس.
ليرتشفوا كؤوسهم جميعًا دفعة واحدة، وتصدر أصوات ضحكتهم فجأة في الغرفة مصدرة صدى صوت عالٍ، أثناء ذلك تدخل عليهم امرأة ممتلئة القوام، ضخمة الجثة، بيضاء البشرة، قاسية الملامح، اتجهت ناحية نورس وريفال الجالسة بجانبه

الأيمن، وراوس الواقف على شماله، لتمسك بطرف ثوبها الأصفر اللون المنعكس على وجهها ليجهله أكثر شُحوبًا، وتنحني احترامنًا وإجلالًا لنورس، لتردف قائلة وهي خافضة الرأس بصوت يشبه حفيف الأفعى:
- تحياتي لجلالتك وتحياتي لكِ يا سيدتي ريفال، ولك يا سيدي المستشار راوس.
تعتدل في وقفتها وتصلب طولها وعلى وجهها ابتسامة مستفزة لتستطرد:
- لقد جئنا بالعرافة، هل ندخلها الآن يا عظمتك؟
أرجع ظهره ملتصقًا بالكرسي، ثم أشاح وجهه ناحية راوس وهو يكور قبضته بغيظ، ليردف بصوتٍ هادر جعل كل من بالغرفة ينتفض:
- أنا حقًا لا أعرف لما أبقيت على حياتك أيتها الشحوم المتراكمة في جسد رجل.
التفت ناحيتها صارخًا بها:
-هيا اذهبي من أمامي وإلا قتلتك الآن.
يتجه نحوه راوس وتهب ريفال من جلستها لتقف أمامه تعطيه ظهرها لتردف بخوف:
-هيا، اذهبي من هنا يا شجون وأدخلي تلك العرافة بسرعة، هيا.
ابتسمت شجون متوجسة وهي تومئ برأسها في توتر لتستدير مسرعة نحو باب الخروج من الغرفة، وكل ما فيها يرتعش ويهتز كالهلام.
بادر راوس بالكلام قائلًا بنبرة أكثر اعتدالًا وهو يربت على كتف نورس، ليهدأ من ثورة غضبه العارمة:
- هدئ من غضبك، اهدأ قليلًا لقد ذهبت.
ليقاطع حديثه ضحكة نورس المفاجئة التي جعلته يرتعد من الدهشة،
ضحك نورس ضحكة مجلجلة عالية تُرعب الأوصال، ثم أردف باستماتة محاولًا كتمان ضحكاته:
-آه، ياه، ياه، حقًا لا أستطيع السيطرة، أف، حسنًا حسنًا.
يغمض عينيه لثوانٍ ليستطرد:
- هل رأيتم كيف تهتز؟ إن اهتزاز شحومها جعلتها كالخنزير الضخم، لا لا ليس خنزيرًا بل خرتيت عملاق يهرب من الصيادين، الآن دعونا من هذا الكائن

الهلامي وأدخلوا تلك العرافة الملعونة هيا.
بعد لحظات قليلة يدخل الغرفة رجلان ضخمان بملامح قاسية، يمسك كل واحد منهم بذراع تلك التي تتوسطهما، هي امرأة هزيلة منحنية الظهر وعلامات العجز والكبر مرسومة على وجهها، لقد ترك أثره عليها، ليعتدل نورس في جلسته وهو يشرئب بعنف للأمام، وتفحصها بنظرات ثاقبة كأنه يريد أن يمرر تلك النظرات لتتخلل جسدها الهزيل النحيف، هتف راوس بحزم بهم قائلًا:
- ليس لدينا اليوم بطوله فلتسرعا.
يومئ أحد الرجلين بالإيجاب ويقوم بحمل العرافة على ذراعاه ويخطو بها خطوات واسعة ناحيتهم، ليشر له راوس بيده لينزلها على الأرض، ظل نورس محدقًا بها ولم يرمش بعينيه قط.
لتردف العرافة بصوت مهزوز:
- بمن سأبدأ بقراءة مستقبله؟
أجابها نورس بنبرة متعجرفة:
-أنا أولًا أيتها العرافة.
أجابته في حماس:
-حسنًا، مد لي كف يدك أقرأه لك، وأخبرك بمستقبلك.
ثم استطردت بسرعة:
-دعني أولًا أكمل قراءتي وبعدها افعل بي ما يحلو لك يا قائد نورس.
رمقها بعينين شاردة ومد لها كفه في هدوء كأنها ألقت عليه تعويذة ما، ويتابعهما كل من ريفال وراوس بدهشة متسائلين كيف يكون نورس هادئًا هكذا، تمسك العرافة بكفه بين راحتي يديها المجعدة الخشنة وتبدأ في وضع أناملها المجعدة على كفه، وعيناها تلمعان لمعان غريب، وهي ما زالت تصوبها على كفه، وجميع من بالغرفة ساكنين صامتين يسمعون همسها غير المفهوم حتى هو نفسه ينتظر، لترفع رأسها فجأة وقد اتسعت حدقتا عينيها بفزع.
لتردف العرافة وهي تنتفض:
إن نصف اسمك الأول سيكون سببًا في نهايتك من هذا العالم.

صدرت همهمت بين الموجودين ليسألها راوس بشك:
- أعيدي ما تفوهتِ به الآن.
لينظر له نورس في صمت ثم ينظر إلى العرافة مرة ثانية، لتنظر هي بدورها إلى نورس لحظة في صمت، لتردف:
- سيأتي هو بنفسه بنهايته ويتعجلها لتنتهي أسطورة نورس المظفر وجيشه من الوجود وبعدها يعم السلام في الأرض.
يسحب نورس كفه بعنف من بين يديها ليهب وقفًا بقامته الضخمة وبسرعة مذهلة يجذب راوس من ياقته ويسحب خنجره ليقف فجأة خلف العرافة الجالسة على الأرض وسط دهشة الجميع ليمسك برأسها من الخلف بعنف وتصبح رأسها مقابلة لوجهه ليردف ببرود:
-الآن قد أنهيتِ حديثك كله إذا جاء وقتي للحديث وها أنا أتحدث.
ثم قام بذبحها كالشاه، ليتركها ترفس بقدميها على الأرض كالدجاجة المذبوحة، ليرمي بالخنجر على الأرض ويرجع إلى كرسيه بهدوء يشاهد منظرها وهي تلفظ أخر أنفاسها بعينين شاردتين.

***

بداية الكابوس

في غرفة نور تجلس لؤلؤة على كرسي، وخلفها منضدة صغيرة عليها بعض أدوات الزينة بها مرآة مزخرفة تعكس صورة بنان، وبجانبها رئبال الذي ينظر إليها في المرآة بين الحين والآخر، أما نور كانت تجلس على الأرض متكئة بظهرها على قدم أمها لؤلؤة التي تقوم بتسريح شعرها الطويل.

لتردف نور بنبرة مرحة:

-هل ستبقى هنا كثيرًا يا رئبال في غرفتي أم أنك تريد التبديل معي غرفتك ببنان .

التفت إليها بحنق ليردف بصوت محشرج:

-ما الذي تقولينه أيتها الناموسة الناعسة؟ من الواضح أنكِ تهذين وتتفوهين بكلمات غبية ليس لها قاموس.

ليقترب نحوها ويدنو لمستواها رسامًا على وجهه البلاهة والغباء مستطردًا:

-وهذا هو شكلك الآن إن دققتِ النظر في مرآتك سوف يكون هذا منظرك.

تنفجر ضاحكة من منظره وطريقة حديثه ومعها لؤلؤة وبنان، لتحيط نور عنقه بذراعيها وتغمز له بعينها وتردف ضاحكة:

- أنت من يستطيع إضحاكي بكلماته وأفعاله الغبية يا رئبال.

رمقها بطرف عينيه ولوى فمه بتذمر كالأطفال لتستطرد حديثها مبتسمة:

- فأنت حبيبي الذي سوف يحميني أينما كنت ألستُ محقة يا رئبالي الجميل؟

تنحنح في حرج قائلًا:

- حقًا يا نوري الصغير، كما يناديكِ النوري الكبير.

- أجل.

لتردف بنان بنبرة ضاحكة:

- ليحميكم الله دائمًا يا أميرة نور.

لتتنحنح بحرج مستطردة:
- وأنت أيضًا يا أمير رئبال.
يحل رئبال ذراعي نور من حول عنقه ويلتفت بجسده مكملًا الوقوف ليذهب باتجاه بنان، التي ظلت جامدة في مكانها وتضع يديها على صدرها كي تداري خفقان قلبها الواضح، الذي يكاد يخرج من صدرها ليقترب منها ممسكًا بيديها الباردة، وينظر إلى عينيها الخجلتان وعينيه تشع حب وعشق قائلًا بصوت مبحوح:
- وأنتِ أيضًا يا بنان ليحميكِ الله ويجعلك من هم بقربنا.
تظل أعينهم معلقة ببعض حتى هتفت نور بهما لتفزعهما:
- أنتما هل نسيتما أين أنتما ومن موجود معكم أيها العاشقان التائهان.
أجابتها لؤلؤة بهدوء:
- دعيهما يا نور، فتلك اللحظات سوف تظل ترسم في لوح حياتهم بحروف من نور ليضيء قلب كل منهما عند تذكرها، وأنتِ أيضًا سيأتي يومًا تكوني فيه في نفس الموقف يا حبيبتي.
أجابت نور بتهكم:
- من سيجن وينظر لي هكذا مثلما يفعل رئبال مع بنان الآن، أعتقد أنه مخبول.
التفت إليها رئبال ليردف بثقة وغرور:
- بل لن يكون واحد بل أكثر من واحد، وسوف تسحرينه بكل ما فيكِ حتى قدمك تلك سوف تجعله مذلولًا تحتها ووقتها ستعرفين أني محق أا.....
تقاطعه لؤلؤة بسرعة:
-لا لا هو واحد فقط لا أكثر من واحد سيحبك حب تستحقينه، يا حبيبتي لأن قدمك ليست علة بل ميزة ميزك الله بها لأنك عنده غالية يا حبيبة قلبي.
لتردف بنان مؤكدة على كلام ملكتها:
-أجل يا أميرتي أنتِ غالية.
فجأة ترددت أصوات عالية وصرخات على مسامعهم لينتفض كل من بالغرفة من تلك الصرخات، وكأن القصر يهتز من شدة الصرخات.

فصاح رئبال في حدة:
- يجب أن أذهب، لا أعرف ماذا يحدث، لكن ابقين هنا جميعًا
ليفتح باب الغرفة، ويجد أحد الحراس قبالته والتوتر والانفعال يملأن وجه الحارس وصوته، وهو يهتف:
- أمير رئبال لقد وصل البرابرة إلى المملكة وإلى هنا أيضًا يجب أن نسرع الآن.
التفت رئبال برأسه إليهم وعينيه شاردة مصدومة كأنه يلقي عليهم نظرته الأخيرة ويغلق الباب عليهم.
لحظة من الصمت مرت عليهن بالغرفة لتهب نور من جالستها وتردف بفزع:
-لا، لن نتركهم هكذا، يجب أن نساعدهم الآن، هيا يا بنان.
وبينما نور منشغلة في حديثها فجأة وجدت من يكممها من الخلف رغم محاولاتها المستميتة في الإفلات، ولكنها لم تستطع لتستسلم أخيرًا، وعيناها تلمع بالدمع لتسقط في سبات عميق، وكل ذلك يحدث أمام بنان المصدومة من هذا المنظر العجيب، لقد كممت لؤلؤة ابنتها بيدها لتتركها غارقة في النوم العميق، أثناء ما يحدث الآن من كارثة، لتخرجها لؤلؤة من صدمتها بصوت مبحوح شبه باكٍ:
-هيا، هيا يا بنان لا يوجد وقت لصدمتك الآن، هيا ساعدني.
بنان بنبرة مهزوزة:
-أساعدك بماذا يا مولاتي؟
-هاتي هذا الصندوق الذي أمامك، وأخرجي نصف ما فيه من ملابس الآن بسرعة.
استجمعت بنان شتات عقلها لتبحث بعينيها عن الصندوق، وتفعل ما أمرت به لتردف بصوت مرتعش:
- لقد انتهيت يا مولاتي.
- حسنًا ساعديني في حملها الآن بسرعة، لنضعها في الصندوق.
صاحت بنان بسرعة:
- لكن هكذا يا مولاتي سوف، سوف تموت الأميرة من الاختناق.

- لا تخافي إن الصندوق به فتحات لتهوية الثياب، بهذا سيدخل إليها الهواء وتستطيع أن تتنفس، هيا ساعديني الآن، لا يوجد لدينا وقت.
تقوم لؤلؤة وبنان بحمل نور، التي تبدو كالطفلة الصغيرة في سباتها، وجنتاها مبللة بالدموع التي ما زالت تنهمر من عينيها، ويضعاها في داخل الصندوق الخشبي الكبير في حنان، ويدثرانها وهي في وضعية الجنين في رحم أمه، لتنظر إليها لؤلؤة نظرة أخيرة وتنحني لتدنو منها تقبلها على جبينها، قبل أن تغلق الصندوق لتردف ببحة وخوف:
- نامي يا ملاكي الصغير، آسفة ولكن ما فعلته لحمايتك يا حبيبتي سامحيني.
لتغلق الصندوق وبقفل حديدي لتسألها بنان بصوت مرتعش:
- لكن هكذا يا مولاتي لن يفتح الصندوق أبدًا.
لتجبها لؤلؤة بصوت مرتعش:
- أنا أتركها الآن بين يدي الله تعالى، ولن يصيبها سوء أبدًا يا بنان، ابقي أنتِ هنا بجانبها ولا تخافي إن مفعول المنوم قوي، ولن ينتهي سريعًا، لقد ضاعفته لكي تبقى على هذا الحالة لأكثر من يوم، فإنه شديد التركيز فهي من قامت بصنعه، وأخبرتني عن قوة وشدة تركيزه.
تتجه لؤلؤة ناحية باب الغرفة ممسكة بمقبض الباب لتثبت لثوانٍ، وتخرج والدموع تأخذ مجراها من عينيها وتغلق الباب تاركة روحها خلف باب الغرفة لتعدو لتساعد باقي أحبائها.

***

عودة جيش نورس المظفر

ساعة تتبعها ساعة وفجر يتبعه فجر وتركض الأيام وراء بعضها، ونور ما زالت على حالها، لا تعلم كم من الوقت مر عليها، وما الذي حدث وماذا يحدث، كلما حاولت فتح عينيها الناعستين لا تستطيع ذلك، لم تعد تقدر على رفع جفنيها الثقيلين، وإن نجحت في فتحهما غطت في إغماءة عميقة داخل هذا الصندوق الذي ما زالت قابعة فيه، أما خارج الصندوق كان جيش نورس المظفر يتجه إلى بوابة مملكة (سدرام) محملين بالغنائم والأسرى، مكبلين بالأحبال يجرونهم ورائهم كالأغنام وهم ناصبين هامتهم بفخر فوق جيادهم رافعين أعلامهم السوداء عاليًا، دخلوا البوابة وكان قائدهم نورس في استقبالهم ومعه مستشاره راوس الذي تبدو على وجهه ملامح الحقد والغيرة.

هتف نورس مرحبًا وهو يفتح ذراعيه:

- مرحبًا، مرحبًا بقائدي المفضل سام، أهلًا بجيش نورس المظفر الذي لا يهزم أبدًا، أستطيع أن أخمن النصر من رؤيتي لوجوهكم السعيدة الآن.

جذب سام عنان جواده ليوقفه وينزل من عليه ناصبًا قامته وجسده القوي المفتول العضلات، ووجهه الأسمر رسم عليه ابتسامة النصر والتفاخر تصل زواياها خلف أذنه، ليتقدم من نورس الذي قام بضمه إليه وهو يربت على ظهره بقوة، ثم أمسك بذراعيه سام وهو يقول متباهيًا:

- أجل، أجل تلك هي الذراع القوية التي لطالما جعلتني مفتخرًا بها.

التفت ناحية راوس مستطرد:

-أليس كذلك يا راوس؟

راوس بغضب مكتوم:

-أجل هو كذلك ولكن لنهدأ قليلًا كي لا يتملك من سام الغرور.

يرمقه سام بنظرة متهكمة ليردف وتظهر على ثغره ابتسامة تهكمية بصوته

الأجش:
- أما زالت على حالك يا راوس، حليق الذقن مرتديًا ثيابك الغريبة تلك؟ كأنك من هؤلاء الملوك الذين قد قمنا بسحقهم.
يضحك نورس وسام على ملامح وجه راوس والذي بدا لهم كمن بلل ثيابه من ذلك التهكم الصادر من سام.
ليهتف راوس بسرعة:
- ألم تجعلنا نسمع ما حدث معك في مملكة (أشمهور)، أما أنه سر لا تريدنا أن نعرفه.
قالها والشر يتطاير من عينيه، ليقطع هذا الجو المشحون بالطاقة السلبية نورس قائلًا بصرامة:
-هيا لندخل ويستريح الأبطال وبعدها نسمع كل شيء على مهل.
***

النصر الخسيس.

لقد تحولت ساحة قصر (سدرام) إلى مكان للعربدة والسُكر، رجال ونساء يتراقصون على نغمات صاخبة مزعجة، ويطوف عليهم عبيد مملكة (سدرام) الذين كانوا في الماضي أسياد، الآن قد تغير الحال وأصبحوا عبيد تحت يدي من لا يرحم، يخدمونهم، يملؤون كؤوسهم تارة، ويأتون لهم بالطعام تارة أخرى، أما نساء وفتيات (سدرام) فقد أصبحن منجسات بالعار، تغيرت حالتهم من شريفات عفيفات إلى عاهرات لا يستطعن تحاشي أيدي هؤلاء البرابرة، أما نورس والبقية كانوا يجلسون في مجالسهم يستمعون بانتباه لما يقصه عليهم سام عن الحرب، التي لم تكن حربًا بحق، إنما هي خدعة ونذالة، ولقد كسبوها بالباطل، فكل ما فعلوه هو هجومهم المفاجئ على المملكة، مما جعلهم ينتصرون انتصارهم الزائف.

- لقد بدأنا كما خططنا من قبل وهو أن نتنكر كمواطني (أشمهور)، وننتشر بين أهلها ونتفرسهم ونعرف نقطة ضعفهم ونبدأ بها.

قالها سام وهو واقف أمام نورس وريفال وراوس، وهو يلوح بيديه في الهواء مغترًا بما فعله، ليستطرد قائلًا:

- وما وجدناه كان مفاجأة حقًا، وهو أن أهل المملكة كانوا نساء وأطفال وطاعنين في السن، وهذا ما زاد حيرتي، أين هم الرجال أليس بها رجال قط.

نظر كل من نورس وراوس لبعضهما في دهشة، التقى حاجبا سام، وهو يضيف:

- كل ما كان يشغل بالي، أين هؤلاء الرجال؟ ولكني لم أدع الوقت يداهمنا، فأعطيت الإشارة لرجالي بالهجوم، وبالفعل هجمنا على المملكة وكانت أعدادنا تفوق أعدادهم بمراحل.

- هكذا تم الانتهاء من المملكة بهذا لبساطة؟

سأله راوس مستنكرًا.

أرجع نورس ظهره ملتصقًا بالكرسي ليتابع سام كلامه قائلًا بجمود:
- أجل هكذا حصلنا وكانت من ال.....
قاطعه نورس هذه المرة بشك قائلًا:
- إن صدقتك وابتلعت روايتك الغريبة تلك، هل من المعقول مملكة مثل (أشمهور) لا يوجد بها جيش مثلًا أو حتى ملكًا يحكمها.
نظر راوس بطرف عينيه إلى سام متشفيًا، ليردف سام بحده:
- إن ما قلته يا قائدي العظيم ليس برواية، أما بالنسبة لجيش (أشمهور) الذي لم يكن على أهبة الاستعداد واستطعنا أن نهزمهم شر هزيمة بسرعة قبل أن نهجم على المملكة، ولأن أعدادهم أقل من أعدادنا، حتى أنهم لم يحصنوا المملكة تحصينًا قويًا، وأما الحاكم فقط أنهيت على حياته بنفسي.
هتف نورس بسرعة في لهفة:
-كيف ها؟ كيف أنهيت حياته يا سام أخبرني؟
تنهد سام بثقل قائلًا:
- عندما قمنا بالهجوم على القصر، انقضضنا عليه بغتة، فلم يكونوا مستعدين وكنت أبحث عن الملك وأهله، فوجدت مجموعة صغيرة من الحراس يحاولون حمايته، وهو في الحقيقة كان بجانبهم متصدي لنا بشجاعة، فعزمت أنا على مواجهته فبدأ بمبارزتي، وكان يبارزني بسيفه بكل حدة وقوة، كان حقًا مخيفًا، فلم أستطع مقاومته إلى أن جاءت اللحظة.
ابتلع ريقه بانفعال ليستطرد قائلًا:
- لقد لمحت إحدى النساء تخرج من إحدى الغرف وهي تبكي، وكانت عيني معلقة بها فقد كانت جميلة جدًا، لكنها عندما لمحتني أنظر إليها؛ مسحت دموعها بكلتا يديها وقد تغيرت نظرة عينها من انكسار وضعف إلى قوة وشجاعة، وهي تنظر ناحية الملك، فما كان مني، إلا أنني استطعت الإفلات من تحت يدي هذا الملك، وعدوت ناحيتها وأسرعت إليها فأصبحت تحت قبضتي، تجمد الملك في مكانه فعلمت أنها تخصه، أشرت إليه أن يرمي سيفه على الأرض وفعل، ولكني فوجئت بصوت هادر يأتي من خلفي، فالتفت ناحيته، وجدت

شابًا في مقتبل العشرينات يعدو ناحيتي، ولكن جنودي لم تمهله الفرصة ليتقدم، فانقضوا عليه بغتة وانغرزت سيوفهم بجسده، لتصرخ تلك التي كانت تحت قبضتي باسمه رئبال.

قاطع حديثه نورس ساخرًا:

-رئبال! وما هو هذا الاسم أيعني شيئًا؟ أسماؤهم غريبة حقًا، أكمل يا سام وماذا حدث بعدها.

استطرد سام بجدية:

- بعدها ارتعشت أوصال تلك المرأة بين يدي، وفجأة جحظت عيناها وانقطعت أنفاسها وماتت، أما بالنسبة للملك فعرفت الصدمة طريقها إليه، فنزل على قدميه وبدأ يزحف ناحيتها وعينيه تغرق بالدموع، أمسك بجسدها الساكن بين يديه وما كان مني إلا أن أاا.....

قاطعته ريفال قائلة بضحكة خليعة:

- إلا أن تستغل الفرصة وتنزل بسيفك على رأسه المنحنية أليس كذلك.

أجابها سام بدهشة:

- أجل هذا ما حدث تمامًا، كيف علمت مولاتي ريفال بهذا؟

أجابه راوس بنزق:

- ليس غريبًا على أخت المستشار راوس وزوجة العظيم نورس، ألستُ محقًا يا سام.

رمقه سام بحدة ولم يجبه، هب نورس واقفًا وهو يتجه ناحية الغنائم وخلفه سام وراوس، ويمشي وهو مشبك ذراعيه أمام صدره، ينظر بجمود على هؤلاء الأسرى من نساء وأطفال وكبار سن ليتكلم بنبرة أمرة:

- بالنسبة لكبار السن تخلصوا منهم فلا أريدهم معنا، أما الأطفال فاجعلهم عبيد هم والنساء القبيحات فقط، أما الجميلات مثل هذه.

يقرب أنامله الصلبة من وجه بنان، التي قد أُسرت، فتراجعت للوراء قليلًا من لمسته جعلته ينفجر ضاحكًا بضحكة مرعبة قائلًا:

- تعجبني تلك الجميلة أم أنا مخطئ يا جميلتي ريفال.

تهمس ريفال بأذنه بدلال قائلة:
- أجل يا عظيمي ولكن انتظر قليلًا، فربما تجد الأجمل منها.
تابع كل منهما الضحك حتى لمح نورس صندوق من الصناديق الموجودة على الأرض مغلقًا بقفل كبير من الحديد، لتشهق بنان بفزع ليتردد صدها على آذان الجميع، ينظر لها راوس بشك قائلًا:
- من ردة فعلها تلك، تجعلني أخمن أنه يوجد بذلك الصندوق شيئًا مهم.
يقترب راوس من وجه بنان يتفرسها بشك ليردف باستهجان قائلًا:
- حسنًا لا إجابة أذًا، بعد إذن قائدنا الأكبر نريد أن نعرف ما بهذا الصندوق، أتأذن لنا.
أجابه نورس وهو يحك ذقنه:
- أجل أفعلها.
أمسك راوس بمطرقة كبيرة وأخذ يهشم هذا القفل الحديدي بضربات قوية تحت دهشة الموجودين، كأنه يثبت قوته ورجولته على هذا القفل، وأخيرًا وبعد الضربات المتتالية، كُسر القفل ويقوم راوس بشده ورميه ليفتح الصندوق ويرفع غطاءه حتى تظهر تلك الصغيرة بهيئتها الضئيلة وشعرها الطويل يغطي وجهها وهي نائمة بنفس الوضعية، لينزل نورس على ركبتيه هو وراوس، كادت يدي راوس من الاقتراب منها، لكن يد نورس سبقتها لمد يديه ليمسك بخصلات شعرها ليبعده عن وجهها ليظهر له هذا الوجه الصغير بوجنتيها الحمراء الساخنة من وجودها داخل الصندوق فترة طويلة، يقرب نورس أنامله من عنقها ليجس نبضها، لكنه يشعر أنه قد صُم فجأة لا يسمع شيئًا، وقد سرت رعشة قوية في جسده جعلته يهب واقفًا فجأة ليردف بصوت مضطرب:
- أظن أنها ما زالت على قد الحياة، هيا أجعلها تفيق، أريد أن أعرف من هي حالًا.
ليهتف صارخًا بهم:
-هيا الآن.

***

غضب نور.

رائحة غريبة تسربت إلى أنفها جعلت ملامح وجهها تتقلص لا تعرف من أين أتت تلك الرائحة القوية النفاذة، تفتح عينيها بثقل ولكن ما زالت الرؤية مشوشة لا تستطيع الرؤية جيدًا، ولكن الرائحة ما زالت قابعة على أنفها، أغمضت عينيها لثوانٍ ثم فتحتهما، بدأت الرؤية تتضح لها رويدًا رويدًا لترى بشكل أوضح، لتجد أمامها فردة حذاء رائحته قذرة موجه إلى أنفها.

هل أفاقت الأميرة من سباتها أم أعجبتها الرائحة.

أتى هذا الصوت الساخر من خلف فردة الحذاء لتزيحه نور بيدها المرتعشة، لتظهر لها صاحبة هذا الصوت أنها شجون بوجهها القاسي وملامحها الباردة.

-أين أنا؟ ومن أنتِ؟

قالتها نور بنبرة منهكة متعبة.

هبت شجون واقفة لتنحني برأسها الضخم قبالة وجه نوروتردف بنبرة تهكمية:

- انظري وتأملي المكان حولك يا، يا أميرة.

قالتها وهي تلوح بذراعها في الهواء مبتعدة، اعتدلت نور من نومتها، لتجد نفسها على فراش وثير في غرفة كبيرة مفروشة أثاث فخم ومدفأة بجانبها كرسي من الخشب الغامق تجلس عليه شجون بأريحية وهي ترمق نور بنظرات ساخرة، وابتسامة غامضة لتهتف بنبرة أمرة:

- هيا ادخلن يا جميلات، لقد أفاقت أميرتكم.

نظرت نور ناحية الباب لتجد خمسة فتيات يدلفن للغرفة أمعنت النظر بهن أدركت أنهن من وصيفات القصر، من بينهن بنان التي عندما دلفت احتضنتها وهي تبكي بحرقة، وباقي الفتيات يلتففن حولها، تبعد نور بنان عنها وهي تنظر إليها بعينين شاردتين، تخفض بنان نظرها أرضًا وتبتعد عنها للوراء.

نور بنبرة مختنقة:
- بنان ما الذي حدث أين نحن؟ وأين أبي وأمي ورئبال؟
لم تجيبها بنان، لتصيح فيها نور بصوت هادر قائلة:
- أجبيني ما الذي حدث أيتها الجبانة؟ أخبريني.
وقفت شجون من على كرسيها لتتقدم من نور بخطوات هادئة متمهلة بجسدها الضخم، وهي تدفع بنان للوراء بهدوء، لتقف في قبالة نور مباشرة، لتردف وهي ترفع حاجبها بنظرات مستهزئة:
- أولًا أنتِ في مملكة (سدرام) سابقًا، ثانيًا بالنسبة لأبيكِ فقط مات مقطوع الرأس، وأمك قد ماتت حزنًا وصدمة على أخيكِ، الذي قتل أيضًا عندما غرزت السيوف بجسده الشاب.
بسرعة كل برق انقضت نور على عنق شجون الضخم بإحدى يديها لتغرز أظافرها فيه، وباليد الأخرى، تسدد لها لكمات متتالية، جعلت أنفها ينزف بغزارة، فمن المحتمل أن يكون قد كسر، فقد كان الدم يملأ يد نور، كأنها أصطبغت باللون الأحمر، قذفتها بقسوة لتصطدم شجون رأسها في أحد أركان الغرفة بالجدار ليتساقط الدم من مؤخرة رأسها. ونور تنظر لها بنظرات محتدة مظلمة وهي تلهث، تتابعها أنظار الفتيات المندهشات لأول مرة يرون أميرتهن بتلك القوة، كادت أن تنقض عليها مرة ثانية ولكن منعها دخول ريفال ومعها رجلان لتصيح بنبرة غاضبة:
-ما الذي حدث؟ من فعل هذا؟ أجبنني، انطقن؟
- أنا من فعلت هذا.
قالتها نور بنبرة قاسية مغلولة.
نظرت لها ريفال بدهشة وهي تسأل نفسها كيف بتلك الضئيلة أن تهد هذا الخرتيت الضخم هكذا، لتقطع حديثها مع نفسها وتردف بلهجة أمرة للرجلين الواقفين خلفها:
- هيا احملا شجون وأخرجاها من هنا بسرعة.
يومئ الرجلان برأسيهما موافقة، ويتجها ناحية جسد شجون الضخم المغشي

عليها، ليحملاها بصعوبة بالغة عن الأرض للخارج بخطوات بطيئة متثاقلة، ترمق ريفال نور بنظرات متفحصة وهي تقترب منها ليظهر فرق الطول بينهما واضحًا فريفال أطول من نور بعدة سنتمترات، تردف ريفال بصوت هادر أمر وهي ما زالت تصوب عينيها على نور:

-سوف تذهبن الآن أنتن الخمسة لتتحضرن للقاء العظيم نورس، وهو سوف يختار منكن خليلة له فاستعددن.

لتصمت برهة لتستطرد:

- أما أنتِ أيتها القبيحة القذرة، لن تكوني هنا أميرة، بل أمة لا أكثر، أفهمتِ؟

أنهت ريفال كلامها لتخرج من الغرفة تاركة نور والفتيات الخمس بالغرفة وحدهن.

- اسمعنني الآن جيدًا.

قالتها نور بحدة وعينيها تزرف منها الدمع بحرقة مضيفة:

- أنتن شرف المملكة لا تجعلن هذا القذر يدنسكن، أنتن طاهرات لا تدعنه ينجسكن، الآن ابدأن في الحك وخربشن أجسادكن، شوهن أنفسكن بأيدكن، وإن سألوا عن السبب قلن أن الجرب منتشر في المملكة بين النساء، هيا ابدأن وأنا معكن.

بالفعل بدأت نور بالحك بعنف في كل أنحاء جسدها ومعها الفتيات يفعلن هذا وهن يتألمن، ولكن هذا أفضل لهن من تدنيس طهرهن وبراءتهن.

***

- أحقًا فعلت هذا؟! إن هذا رائع بل أكثر من رائع، أخيرًا قد سقط الخرتيت ومن ماذا! من حمامة صغيرة بائسة يا لسماء، ذلك هو أفضل ما سمعت حقًا.
قالها نورس وهو يضحك عاليًا مستمتعًا لما سمع.
التفتت إليه ريفال، رمقته بنظرة ضجرة قبل أن تقول:
-أهذا هو كل ما شدك؟ أنها أسقطت شجون أرضًا؟
- شحوم تقصدين.
قالها نورس بسخرية مقاطعًا لها.
-أيًا كان ولكن ما فعلته تلك القذرة يجب أن تُعاقب عليه وفي الحال.
رمقها نورس بنظرة جانبية ليردف رافعًا عين مظلمة:
-لا تقلقي سوف أجعل من حياتها الجحيم نفسه، ستصبح كالدمية الخشبية الخور، فارغة من داخلها حيث سيدخل فيها الهواء ويخرج منها دون أي مقاومة، وسوف ترين هذا بعينك يا ريفالي العزيزة.
أما في الغرفة الموجودة بها نور والخمس فتيات، دلف لهن ستة من النساء يبدو عليهن البؤس الشديد والمذلة رمقتهم نور بنظرة فاترة. - هيا يا فتيات من فضلكن تعالين لكي نجهزكن.
قالت إحدى النساء بهدوء.
هتفت بها نور بصوتٍ هادر:
- أنتِ توقفي، قبل أن يستعددن يجب أن تري هذا أولًا.
أمسكت نور بثوب بنان لتمزق كتف ثوبها لتظهر تلك الخدوش التي قد شوهت معظم معالم بشرتها الجميلة وأخذت نور تمزق باقي أكتاف أثواب الفتيات الأخريات لتظهر خدوشهن وجروحهن.
لتردف بغضب عارم:

- ها، ما رأيك ألا زلتِ مُصرة على أخذهن؟
اندهشت النساء مما رأين، ولكن واحدة منهن لم يظهر عليها الاندهاش، فقامت بدفع الفتيات إلى خارج الغرفة وهي تشير للنساء الأخريات بدفعهن معها للخارج، أمسكت نور بذراع تلك المرأة العازمة على ما تفعله صارخة في وجهها:
- ألم تري هذه الجروح والخدوش التي تملأ أجسادهن؟ إن سبب هذه الخدوش والجروح هو الجرب، أسمعتِ عنه من قبل؟ إنه مرض معدي ومنتشر لدينا في المملكة كلها، أتريكهن الآن.
دفعتها المرأة بقوة، ليظهر لها عدم توازن نور بسبب قدمها العرجاء لتردف المرأة في برود:
-هذا ليس سببًا يجعلني أتراجع عما سأفعله، ولا يوجد أحد أفضل من أحد أخر، فنحن كنا مثلهن فتيات طاهرات عذارى، ولكن الآن أصبحنا نساء عاهرات، لهذا لا تأمرني أيتها ...
تبتسم ابتسامة تهكمية وتضيف قائلة:
- أيتها الأميرة العرجاء.
تواصل المرأة في دفع الفتيات إلى الخارج، ومعها النساء الست، تاركين خلفهن نور مقهورة، تحاول جاهدة ابتلاع غصتها وكتم دموع القهر.

***

أما في غرفة نورس وزوجته ريفال، التي كان يظهر عليها ملامح الغضب والغيظ وكانت تتجول بالغرفة ذهابًا وإيابًا، وكان يراقبها نورس وهو ممدد على الفراش على جانبه الأيمن، ساندًا رأسه على كف ذراعه الأيمن، ويبدو على وجهه الهدوء والسكينة.
- ألن تثبتي في مكان يا ريفال؟ أشعر بدوار، اجلسي قليلًا، أريد أن أكون بكامل صحتي أتعلمين هذا.
قالها وهو يغمز بعينه لها مشاكسًا.
-حسنًا سأجلس ولكن كما وعدتني يجب أن تنتقم منها وقريبًا.
-سوف أفعل، ولكني لا أعلم لما أقوم بتعذيبها بسبب تلك الخرتيت المليء

بالشحوم؟ هل هي لهذه الدرجة مهمة لكي؟ أف يا للقرف حقًا، يا للقرف.
قالها نورس منزعجًا.
كادت ريفال أن تكمل حديثهما ولكن قاطعها صوت دقات على الباب لتجيب ريفال بعجرفة:
- ادخل.
تدخل عليهما المرأة التي قامت بإحضار الفتيات.
أردفت ريفال بنبرة هادئة مغترة:
-هل جهزتِ الفتيات.
-لا يا سيدتي.
قالتها المرأة في برود.
ليصيح نورس في حدة وهو ينزل بسرعة فائقة عن فراشه ويصبح في قبالة وجه المرأة:
- ماذا؟ ماذا؟ ماذا؟ ماذا سمعت الآن لم تجهزيهن، لما ها؟ لما؟
لتجيب المرأة بصوت مرتعش:
- إنهن يا عظيمنا مملوآت بالخدوش والجروح، إنهن مصابات بالجرب، هذا ما قالته لي أميرتهن.
صمت نورس وهو يصوب نظراته الشيطانية على تلك المرأة، التي كادت أن يغشى عليها من تلك النظرات، لتهتف ريفال بسرعة غاضبة:
- إنها ليست أميرة، إنها أمة مثلك مثلها أيتها العفنة أا.....
قاطعها نورس واضعًا كفه الضخم الخشن على ثغرها قائلًا بصوت أجش خشن:
- إذن قد أفاقت حقًا تلك اللعينة، ونحن لا نريد انتشار هذا الوباء بيننا.
صمت لبرهة ليضيف بنبرة وحشية متلذذة:
- أحضروا لي راوس في الحال، أريده في لعبة جديدة لذيذة.
***

المكافأة المرعبة

يُفتح باب الغرفة التي بها نور وحيدة مرتعبة ليدلف عليها اثنين من الرجال ضخام الجثة، ملامحهما قاسية، ارتعدت نور منهما وهي تخطو للخلف بخطواتها البطيئة الثقيلة، لينقضا عليها، يمسك كل منهما بأحد ذراعيها، ليشداها للخارج معهما، وهي تقاومهما دون جدوى، كانت ضئيلة الحجم بينهما، كانا يسيران بها في رواق ضيق، ثم من الرواق إلى ممر واسع كبير، أرضيته رخامية، وكان يبدو أن الليل قد حل، فقد كانت الحوائط معلق عليها شعلات النار منتشرة على جانبي الممر بطوله، إلى أن انتهوا ليخرجوا بها إلى حديقة القصر، التي لم تعد على حالها الأول، فقد أصبحت قذرة مهملة، وفي منتصفها بركة صناعية ينسكب فيها الماء الذي قد أصبح ماء عكر من ما يحدث فيها، يلمح نورس وراوس قدومها مع الرجلين ليمعنا النظر فيها أكثر، ها هي أمامهما تمشي ولكن يوجد لديها ما يعيق حركتها وهذا ما لاحظاه.

- إنها عرجاء.

قالها نورس بابتسامة خبيثة.

أومأ راوس له برأسه بالإيجاب وعينيه ما زالت مسلطة على نور، أحضرها الرجلان أمام نورس وراوس الواقفين يتأملانها بنظرات غامضة جعلتها ترتعش، ليتقدم منها نورس ويصبح قبالتها. ويدنو برأسه الكبيرة منها ليصبح في مستوى وجهها ويردف بصوت كفحيح الأفعى:

- لقد علمت بما فعلتيه مع شحوم، تلك المرأة الضخمة ولأنها حقًا حقًا لا تعجبني أيضًا، وهذا يؤكد أن لدينا عاملًا مشتركًا بيننا، لهذا سوف أكافك خير مكافأة ما رأيك ها؟

ترمقه نور بنظرات محتقرة لتظهر على ثغره ابتسامة جانبية باردة، يعتدل في وقفته مشيرًا بيده إشارة أمرة، ثم أمسك بذراعيها الضئيلة بيديه الخشنة ليلوي

وجهها للخلف، اتسعت عيناها في فزع عندما رأت الخمس فتيات مكبلات بالحبال ومكممة الأفواه وهن جاثيات على ركبهن ووراء كل واحدة منهن رجلًا ضخم الجثة.

أتاها صوته الخشن مقتربًا من أذنها ليردف:

- ما رأيك بهذا المكافأة؟ هيا استعدي سنبدأ الآن.

ليهتف بصوت هادر:

- أجعلوها تشاهد مكافأتها الآن.

وفي أقل من دقيقة قاموا الخمسة رجال بذبح الخمس فتات مرة واحدة، لتصرخ بصوت مجروح مبحوح بهستريا:

-لا، لا، لا.

وهي ترى أمامها ووصيفات قصرها وصديقة عمرها بنان يفرفرن مثل الذابح في الأعياد، تنهار نور بين يديه لكنه ما زال ممسكًا بها، يضحك ضحكة هسترية مجنونة منتشية، أما راوس فكان يقف بالخلف مغمض العينين يجز على أسنانه بغضب عارم.

***

رسالة من النوري.

بعد هذا الحادث المرير بشهرين، أصبحت نور أمة لهؤلاء البغاة، تقوم بخدمتهم ذليلة بائسة، لقد تحولت من زهرة جميلة إلى قطعة بالية من القماش، ليس لها أي أمل في التخلص من هذا الكابوس المرعب، وكان نورس يصوب عينيه دائمًا عليها إن لم يجدها قامة على خدمتهم يصرخ بصوت هادر لكي تصبح أمامه في الحال، يتلذذ بتعذيبها، يريد رؤيتها أمامه طوال الوقت منتشيًا من نظرات الذل والضعف من عينيها الذابلة، وكان راوس يراقبها دائمًا بعينيه، إلى أن أتى يومًا جعل كل هذا ينتهي ويتحول بعد كل شيء، إنه يوم الصيد فقد خرج نورس ومعه راوس وريفال، ومعهم سام ليصطادوا الحيوانات البرية في الغابة بلا أي رحمة أو شفقة كما يصطادون الأناس الأبرياء وهم يمرحون ويحتفلون بنصرهم العظيم، كانت نور قابعة في القبو المخصص للعبيد، كان القبو عاريًا تمامًا من أي أثاث، والأرض غير مفروشة بأي فرش، كانت نور جالسة تضم قدميها إلى صدرها تنظر للفراغ بعين شاردة لا تتحرك كأنها جسد بلا روح، وأنفاسها المتقطعة هي ما تثبت أنها ما زالت على قيد الحياة.

- هل ستستسلمين هكذا؟ وحق من تحبينهم يضيع هكذا هباءً؟

أتاها هذا الصوت لترفع عينيها للأعلى، يدنو منها صاحب الصوت لينزل جاثيًا على ركبتيه مقتربًا منها، ترمقه نور بنظرات متفحصة وتتسع حدقتا عينيها بصدمة لتردف:

-أنت، أنت هو الملك مداح، ألا زلت على قيد الحياة؟ أم تلك مجرد هلاوس؟

- بل هي حقيقة وليست هلوسة.

قالها مداح بنبرة منخفضة نسبيًا.

- كيف؟ وماذا حدث؟ هيا أخبرني.

هتفت به نور بسرعة.

- سأحكي لكي كل شيء، لكن أولًا دعيني أتأكد منكِ ألا تقاطعينني.
قالها مداح وهو يتلفت حوله ليتأكد من خلو القبو،
هزت نور رأسها أكثر من مرة بالإيجاب.
زفر مداح في ألم ليردف بصوت هادئ متألم:
- بعد أن انتهي اجتماعي مع أبيك في مملكتكم، وصلت إلى هنا وكنت على أهبة الاستعداد في البدء فيما اتفقنا عليه، ولكن بمجرد وصولي أحوال المملكة قد تغيرت، فوجئت بشعبي يثور علي، لقد استغل هؤلاء الخونة فترة غيابي القصيرة، وقد قاموا بتشويه صورتي أمام شعبي، فلم أستطع السيطرة وحدي على هذا الكم الهائل من الهجوم.
تراجعت نور برأسها، وتطلعت إليه بكل انتباه قبل أن تلوح بيدها له قائلة:
- هيا، أكمل أنا أستمع إليك.
تابع بنفس الهدوء مستطردًا:
- أثناء ما يحدث فوجئت بهجوم هؤلاء، من يسمون بجيش نورس المظفر، فبعث برسول إليكم بسرعة وانتهينا بسرعة وببساطة.
- يا ليتك لم تأت إلينا، يا ليت أبي وأمي ورئبال ما زالوا على قيد الحياة معي وأنا في أحضانهم مطمئنة، لم يتبق لي أحد حتى بنان والفتيات، الكل رحل وتركوني وحدي ذليلة ضعيفة.
قالتها نور بصوت متحشرج باكٍ، ليحتضنها مداح وهو يربت على ظهرها بحنان قائلًا:
-لا لستِ وحدك الآن أنا والنوري معكِ أيضًا.
رفعت رأسها إليه مندهشة مما سمعت لتهتف بلهفة:
- أما زال النوري على قيد الحياة أ.....
قاطعها بسرعة واضعًا يده على فمها ليسكتها، هامسًا:
- هششش لا أريد أن يعرف أحد، قد بعث لي برسالة مع أحد رجالي الموثوق بهم يخبريني فيها أن أطلعك على أنه ما زال على قيد الحياة، ويطلب منكِ أن تبقي قوية فهو يثق بكِ وينتظر منكِ إشارة للقدوم إليكِ، لهذا أريدك أن

تستمعي إلِي جيدًا.
هزت رأسها بحماس يرفع مداح يديه عنها ليردف في هدوء:
-لقد أخبرني في رسالته أيضًا أنه الآن يستعد لهؤلاء الحيوانات، ويقوم بإعداد جيشًا من ما تبقى من رجال مملكة (أشمهور) والممالك الأخرى التي تم احتلالها من قبلهم في سرية تامة متنكرًا في صاحب مخزن للأدوية والأعشاب الطبية.
تظهر ابتسامة على ثغر نور عند سمعها آخر كلماته، ليهب مداح واقفًا ويمد ذراعه إليها ليساعدها على النهوض ليردف مازحًا:
-أنتِ لم تسأليني كيف استطعت المحافظة على حياتي، ألا يساورك الفضول؟
- حقيقةً يساورني، لكني لن أضغط عليك.
قالتها مازحة.
- حسنًا، لم يكن أمامي إلا هذا الخيار، وهو أن أبقى عبدًا ذليلًا لهم، ولكن برسالة النوري لي بعث في روحي حب الحياة والانتقام من تلك الكلاب النابحة ب...
يقاطعه صوت هادر من الخارج صارخًا:
- لقد تم إصابة عظيمنا نورس أثناء رحلة الصيد، بسرعة هيا اسعفه.
- إنه صوت مستشاره راوس، هذه هي فرصتك الآن لتمهدي لقدوم النوري، إنه يثق بكِ.
قالها مداح وهو يشير لها ليخرجوا من القبو.
***

إنقاذ العدو

في الغرفة التي يحتلها نورس وريفال، كانت تبكي ريفال بشدة خوفًا عليه، وهو ممدد أمامها على الفراش والدماء تنزف بغزارة من كتفه الأيمن المصاب بسهم مخترق للجهة اليمنى من ظهره، ومعهم بالغرفة الذي يحاول كتم النزيف وراوس الذي يبدو عليه الهدوء التام وهو يربت على كتف أخته ريفال مهداً إياها.

- أتستطيع إيقاف النزيف يا سام؟

قالتها ريفال في لهجة أقرب إلى الضراعة.

صاح سام في عصبية:

- لا أستطيع إن هذا السهم اللعين يعوقني عن إيقاف النزيف.

- هل سندعه يموت هكذا دون أن نفعل أي شيء.

قالها راوس بنبرة هادئة مستطردًا مع نفسه:

- وهذا ما أتمناه حالًا ليتها أتت بقلبه ولكن للأسف السماء لم تعطني الفرصة.

تخرجه ريفال من حديثه مع نفسه بنبرتها العالية المهزوزة:

-لا، لا لن نقف هكذا نشاهد موته افعلا شيئًا بسرعة، أنقذوا حبيبي نورس بسرعة، اخلقوا لي من ينقذه.

قاطعها راوس بحدة:

- ومن أين نأتي لكي الآن بمن ينقذه أج.....

- أنا سأفعل.

أتاهم صوت نور من خلفهم.

التفتوا الثلاثة إليها، يرمقها راوس بنظرات نارية ليردف بغضب عارم:

- وما الذي يجعلنا نثق بكِ، أنتِ إلى الآن ما زالتِ عدوة لنا من السهل عليكِ أن تسرعي في موته بدلًا من شفائه تا.....

قاطعته نور بسرعة في هدوء:
-إذن أتركه يموت كما تريدون، فأنتم من سينهي أسطورة نورس العظيم برفضكم هذا، سأخرج الآن.
صاحت ريفال بها بعصبية:
- انتظري هنا، ليس لدينا أي خيار إلا أنتِ تعالي وأنقذيه.
تقدمت نور بخطواتها المتثاقلة تحت أنظار راوس الذي كاد أن يلتهمها بعينيه وريفال التي كانت تتعلق عيناها بها، كأنها القشة التي ستنقذها من الغرق، اقتربت نور من الفراش ليقف سام من جانب نورس تاركًا لها مساحة ويقف خلفها يرقبها بهدوء، جلست على الفراش الممدد عليه نورس قبالته تصلبت قسمات وجهها واحتدت نظراتها، تمد يديها المرتعشة لتمسك بقميصه القذر وتمزقه ليظهر صدره العاري، ترمقه نور بنظرات غضب مشتعلة وتقترب منه أكثر وتمد ذراعيها لتصبح خلف ظهره فتكسر رأس السهم بيدها وتقوم بشد السهم من كتفه بغل، لتصدر صيحة عالية منه على أثر ما فعلت.
- أريد الآن بعض من الأعشاب والمطهرات لكي أنظف الجرح وأوقف النزيف في الحال.
قالتها نور بنبرة أمرة وهي مولية ظهرها لهم، جعلت راوس يستشيط غضبًا.
هتفت ريفال بسرعة:
- ماذا تريدين الآن وسنفعله.
قامت نور من جلستها والتفت إليهم ونظراتها فاترة باردة لا تظهر عليها أي مشاعر لتردف ببرود:
- هناك قرية قريبة من (سدرام) تسمى (نبار)، يوجد بها رجل مشهور ومعروف في تركيب ما أريد، أحتاج أن تأتيا به إلى هنا فهو لديه العلاج، وإذا رفضتم سيظل النزيف ولن يتوقف إلى أن يموت بسرعة.
أجابها سام منبهرًا:
- قولي ما تردين أنا بنفسي سوف أقوم بإحضاره.
- كلا ابق أنت هنا لمساعدتي ودع أحدًا من رجالك يأتي به.

صاحت نور في ارتياع كي لا يذهب سام إلى القرية ويكتشف الذي يحدث بها بنظرته الثاقبة وخبرته العسكرية.
رمقها راوس بشك قائلًا:
- لما لا يذهب هو؟ أنا موجود وأستطيع أيضًا المساعدة أ.....
قاطعته نور في حدة:
- ألديك أي خبرة في تقضيب الجروح وتطهرها والعناية بالمصاب كالقائد سام الذي يظهر عليه تلك الخبرات.
رمقه سام بنظرات متهكمة وتتقوس على ثغره ابتسامة ساخرة، وهو يرى راوس يحتنق والشر يتطاير من عينيه، ليردف سام قائلًا باستفزاز:
- هيا يا راوس مر أحد الرجال ليأتي بهذا الرجل الآن.
ضرب راوس بقدمه الأرض بغل وذهب.
***

قدوم النوري.

مر الوقت ببطء وثقل كزحف السلحفاة، كانت نور تحاول وقف النزيف بمساعدة ريفال وسام، أما عن راوس كانت أنظاره مصوبة على نور تارة ونورس تارة أخرى، ينظر بعين كعين الصقر وهو يرقب فريسته كأنه يعد الأنفاس على نورس، حتى أتاه صوت من الخارج ليعلن عن مجيء المنتظرين، بينما نور قد ثبتت في مكانها واقفة عن الحركة ونبضات قلبها تكاد تسمع لكنها تقاوم ذلك لتبدو طبيعية.

يهتف راوس بنبرة أمرة كأنه الأمر الناهي:

- ادخلا.

يدخل الرجل ممسكًاَ بيده شخص طويل القامة ثيابه سوداء، وعلى رأسه عمامة من نفس القماش، ومعه صبي يحمل حقيبة كبيرة من الجلد البني اللون مملؤة بالأدوات والأدوية، يلتفت إليه كل من سام وريفال، أما نور بقيت على حالها واضعة يديها على جرح نورس وتمسح على جبهته برفق.

- لما أنت ممسك به هكذا أراه معافى وقوي.

قالها راوس بحنق.

أجابه الرجل بصوت أجش بفظاظة:

- إنه أعمى لا يرى.

-حقًا.

قالها راوس بشك وهو يراقب النوري:

- أين المصاب كي أقوم بمداواته وتطهير جرحه.

قالها النوري بصوته الرزين الذي عندما سمعته نور انتفضت وأصبتها رعشة قوية اهتز لها كل جسدها.

- إنه ممدد على الفراش هل أساعدك للوصول إليه؟

قالتها ريفال وهي تطلع بالنوري بنظرات متفرسة في وجهه الوسيم وشكل جسده القوي.
- لقد علمت أنه يوجد من أخرج منه السهم من الممكن أن يساعدني هذا الشخص للوصول إلى المصاب.
قالها النوري بنفس النبرة الهادئة، التفتت إليه نور وهي تخطو نحوه بخطواتها المتثاقلة، كأنها لا ترى غيره بالغرفة تريد أن تكون بين أحضانه الآن لتبكي وتشكي له كل ما حدث معها، وما زالت فيه كالدوامة التي لا تستطيع الخروج منها، اقتربت منه وصوت أنفاسها العالية يسمعها هو وحده.
-أنا من قمت بإخراج السهم والآن أريدك أن تساعدني في وقف النزيف وتطهير جروحه وتقضيب الجرح.
قالتها نور بنبرة متحشرجة مهزوزة.
أردف النوري بسرعة بنبرة أكثر هدوءً:
- إذن فلنبدأ الآن وبسرعة.
مد ذراعه لتمسكه نور في تلك اللحظة، شعرت نور بأنها تمسك بيد كل أحبائها، أخذته نحو نورس وبدآ في عملهم بكل هدوء، هو يقوم بعمل تركيب وصنع الأدوية وهي تأخذ منه وتطهر الجرح، لم يأخذ منهما وقتًا طويلًا وكادا أن ينتهيا من عملهما إلى أن سألته ريفال بفضول:
- هل أنت فعلًا لديك دواء لكل داء كما سمعنا؟
- أجل يا سيدتي.
أجابها النوري مختصرًا:
- أي مرض أو علة أيِن كانت؟
نور بنبرة مؤكدة:
-أجل يا سيدتي.
نظرت ريفال لراوس وهي تشير له لموافتها لخارج الغرفة، خرجت هي وخلفها راوس تاركين النوري ونور في عملهما ومعهما الصبي المساعد لالنوري ومعهم سام يراقبهم باهتمام.

***

- ما رأيك؟
قالتها ريفال بحماس وهي ترفع حاجبها متحمسة.
- بماذا؟
راوس بضجر.
-بهذا رجل طبعًا أنت سمعته وهو يقول أن عنده علاج لأي علة، وأنت تعلم أنني أريد أن أرزق بطفل من نورس حتى ولو واحد.
صمت راوس لبرهة ثم أردف قائلًا:
- ومن قال أنكِ أنتِ المعلولة؟ من الممكن أن يكون نورس نفسه هو المريض وليس أنتِ.
نظرت إليه ريفال مستغربة، لتظهر ابتسامة خبيثة على ثغر راوس ليستطرد بصوت كفحيح الأفعى قد تعلمه من نورس:
- ما رأيك بهذا الرجل؟
- بمن؟
قالتها ريفال ببلاهة.
- ذلك الأعمى الموجود بالداخل، لما لا تجعليه هو أب لابنك القادم وتتخلصي منه بعد المراد، ويصبح المولود هو ابن نورس وليس ابن الأعمى.
قالها راوس بخبث.
تحركت ناحيته ريفال قليلًا لتضيف بمكر:
- ولكن كيف هذا؟
- أتركيها لي وسوف أحلها لكِ يا أختاه.
قالها راوس بثقة وهو يشير بيده على صدره ضاربًا إياه بخفة، ليستطرد قائلًا بسرعة:
- هيا اذهبي أنتِ لتطمئني على حبيبك نورس، وأبو ابنك المستقبلي الأعمى.

تتركه ريفال متجهة للغرفة يتبعها راوس بعينيه مضيفًا في هدوء وهو يرتب كلماته:
-هكذا ضاعت الزوجة حبيبتك المخلصة، وأنت لن ترضى بالخيانة أبدًا.
- من الذي لن يرضى بالخيانة يا سيد راوس؟
أتاه هذا الصوت الأنثوي من خلفه.
التفت في سرعة إلى مصدر الصوت ليجد شجون بوجهها القاسي، الذي ما زال يوجد عليه آثار ضربات نور لها، لينقض عليها بكلتا يده ويضعهما على رقبتها وهو يضغط بقوة قائلًا بحدة:
- أنتِ يا أيتها الخنزير ماذا تفعلين هل تتجسسين علي؟ سأقتلك الآن ولن يبكي عليكِ أحد أو حتى يتأثر، أفهمتِ؟
هزت رأسها بخوف بالإيجاب وعيناها جاحظتان مرعوبة.
رفع راوس قبضتيه عنها وهو يرفع سبابته أمام وجهها المنتفض مستطردًا بصوت موحش:
- إن شعرت أنكِ تتجسسين عليّ مرة ثانية، سأمحوكِ من على وجه الأرض.
نظر لها شزرًا بنظرات نارية، مقلص وجهه بغضب ليتركها ترتعد مع نفسها وعينيها تلمع بالدموع المتحجرة.
- هل انتهيتم؟
قالها راوس بنبرة صارمة.
- إننا انتهينا بالفعل ولكن يجب أن نراقب حالته هذه الليلة من الممكن أن ترتفع حرارته، وقتها يجب أن نعطيه دواء لخفض الحرارة يأخذ بعد تركيبه مباشرة، فهو ممكن أن يفسد بسرعة.
قالها النوري وهو يهم بالوقف ليمنعه راوس بنبرة عالية متهكمًا:
- كيف تهم بالرحيل وأنت تقول أنه يحتاج للمراقبة؟ وذلك الدواء اللعين أيضًا فمن يقوم بتركيب أو تصنيع هذا الدواء مثلًا؟
قاطعه النوري بهدوء:
- ومن قال أنني أهم بالرحيل كل ما في الأمر، أني لا أحب ترك أدواتي وأشيائي

مبعثرة.
قالها وهو موجه عينيه أرضًا، أما راوس ابتلع غضبه بسرعة لتظهر ابتسامة خبيثة على ثغره ليردف قائلًا:
- آسف حقًا، فقد تسرعت في رد فعلي، ابق هنا أنت وصبيك ومعك تلك الفتاة وسنخرج نحن، هيا يا ريفال وأنت يا سام يجب أن نريح نورس العظيم.
- لا عليك يا سيدي فضلًا.
قالها النوري مبتسمًا ابتسامة هادئة.
يخرج الثلاثة ويغلق الباب لتقفز نور في فرحة يوقفها النوري بيديه بحدة واضعًا سبابته على ثغره مشيرًا لها بالهدوء، يتحرك على أطراف أصابعه بحركات سريعة نحو الباب لينزع مقبض الباب فجأة لتظهر شجون بوجهها المفزوع، يشرئب النوري برقبته نحوها كأنه لا يراها لتضع يديها على ثغرها وأنفها تكتم أنفاسها اللاهثة بفعل الفزع الذي شعرت به، يحرك النوري رأسه يمينًا ويسارًا كأنه يرهف السمع ليصيح بنبرة عالية نسبيًا:
- هل يوجد أحد هنا؟ هل يوجد أي أحد؟ نريد ماء بارد لخفض حرارة المصاب.
تتقدم نور لتقف خلف النوري لتردف بنبرة باردة:
- ماذا تفعلين هنا يا أنتِ؟ ألم تسمعيه يطلب ماء بارد؟
أنزلت شجون يديها عن ثغرها تستجمع قواها لتردف بصوت مبحوح:
- إنني أتيت الآن ففزعت من قربه من وجهي لهذا تصلبت في مكاني.
- أعتذر إن أخفتك، ولكنى أريد ماء بارد لخفض الحرارة المرتفعة.
قالها النوري وهو يستقيم في وقفته راسمًا على ثغره ابتسامة جذابة جعلت ملامح شجون تتبدل من الفزع إلى الإعجاب والجرأة لتردف بنبرة مغرية:
- حسنًا سآتي لك في الحال بالماء البارد لن أتأخر.
أدارت لهما ظهرها واتجهت لتجلب له الماء، رمقها النوري بتقزز وهو يلتفت إلى نور ليغلق النوري الباب، وترتمي في حضنه وهي تبكي بقهر واضعة يدها على ثغرها لكي لا تُسمع شهقاتها وأوجاعها.

***

بداية العشق.

مر اليوم وكانت حالة الترقب والقلق تسيطر عليه، وأتى الصباح على الغرفة التي يرقد بها نورس ومعه نور والنوري والصبي المساعد، كانت نور قد غلب عليها النوم والصبي أيضًا، أما عن النوري فقد ظل مستيقظًا يحاول طوال الوقت أن يسيطر على نفسه ألا يقوم بقتل نورس الممدد أمامه بغير حول ولا قوة، من السهل أن يمزقه ويفتت عظامه، لكنه ليس مثله خائن جبان، سوف يقضي عليه عندما يكون بكامل صحته، إنه ليس بأخلاق هؤلاء الخونة الأنذال، كان النوري يجلس على طرف الفراش يتفرسه بعينيه المغلولة بنظرات مطولة، يكور قبضته من شدة الغيظ والغل، في هذه اللحظة دخلت ريفال الغرفة وهي تتسحب على أطرافها، شعر بها النوري كانت تتقدم نحوه بخطوات بطيئة خفيفة لتمد يديها إليه، لكنه في تلك اللحظة هب واقفًا مبتعدًا عنها ليردف بصوت رزين هادئ:

- هل استيقظتم يا رفاق؟ لقد تعبنا بالفعل أمس، لذا مسموح لكم النوم لأكثر من ذلك.

أجابته ريفال بنبرة منخفضة مصطنعة الرقة:

- إنه أنا الملكة ريفال.

ظهرت على ثغره ابتسامة جانبية ساخرة.

لتستطرد هي قائلة:

- جئت لكي أطمئن على نورس العظيم، وكنت أريد أن أعرف إلى أين وصلت حالته الآن.

- حمدًا لله لقد أصبح بخير الآن، وسوف يفيق بعد دقائق لا تقل.....

قالها النوري بنبرة عملية، لتقاطعه ريفال بسرعة متلهفة:

- حسنًا، إلى أن يفيق أريد أن أتحدث إليك في موضوع خاص، ليس هنا إنما في

الخارج هيا بنا.
مدت يديها تمسك بمعصمه وتشده معها إلى خارج الغرفة بحماس أغلقت الباب خلفهما، فتحت نور عينيها فجأة لتبحث بعينيها عنه في أرجاء الغرفة؛ كأنها تتأكد من أنه كان موجود بالفعل، قامت من على كرسيها الذي كانت تغفو عليه لتمسك بشاله المفرود على حافة الفراش، أمسكت به تقربه من أنفها تشتم رائحته لتضمه أكثر إلى حضنها وتغمض عينيها تتذكر ما حدث ليلة أمس.
كانت تبكي بين أحضانه وتنهمر منها الدموع كالشلال المنساب على وجنتيها، وهو يمسح بيديه على ظهرها في رفق وحنان.
- لقد انتهيت، انتهى كل شيء لا أستطيع النجاة الآن، أصبحت ذليلة مكسورة ضعيفة وهذا ما أنا عليه الآن، آه يا أبي، آه يا أمي، آه يا رئبال، لقد انتهت حياتهم وأصبحت وحدي في تلك الحياة الموحشة.
تشبثت أكثر منه ممسكة بقميصه أكثر فأكثر؛ كأنها لا تريده أن يرحل بعيدًا عنها مرة ثانية، تريد أن تدخل بين ثنايا قلبه وضلوعه لتغلق على نفسها بقفلٍ حديدي كبير من الصعب كسره أو فتحه، يقاطعها النوري وهو يرفع رأسها إليه بأنامله برقة ليضع يديه على وجنتيها المبللة يمسحها ليردف بصوت مرتعش تغلبه الغصة:
- أعرف أن ما حدث صعب ومرعب، ولكن ما علينا الآن هو أن ننفض كل ما حدث من عقلنا وذاكرتنا وننتبه للتخلص منهم جميعًا، لن نبقي منه أحد.
يتنهد تنهيدة حارة ليستطرد بصوتٍ أكثر اعتدالًا:
- نور أنتِ الآن أبي وأمي، وكل ما بقي من عائلتي أنتِ، وأنا أيضًا الآن كل عائلتك، انظري بنفسك، بعينيك الدامعة لهذا الحيوان الممدد أمامنا على الفراش، من الممكن أن نستغل الفرصة ونقضي عليه هو وحده، ولكني أريد إبادتهم جميعًا واحدًا تلو الآخر.
يمسك بيدها ويشبكها بيده ليضف في حدة:
- معًا سنهزم هؤلاء بإذن الله، فابقي قوية وانزعي رداء الحزن الآن، وتزيني برداء المكر والخبث والصبر، لنبيدهم شر إبادة وتكون القاضية.

- آه، آه.
قالها نورس متألمًا بصوتٍ محشرج، ليخرجها من ذكرياتها، تضع الشال مكانه بسرعة وتجلس على الفراش مقتربة منه لتعكس أشعة الشمس المتسلطة من نافذة الغرفة على وجهها لتزيد من جمال ملامحها وإشراقة وجهها، ويظهر جمال عينيها العسليتين، يحاول نورس رفع جفنيه في ثقل، ليغمضهما مرة أخرى، تمد نور يدها لتتحسس جبهته في حنان مصطنع، وتُفتح عين نورس فجأة لتظهر أمام رؤيته المشوشة ليغمض مرة ثانية ويفتح عينيه أكثر من مرة لتتضح له الرؤية أخيرًا، ترتسم على وجهه الدهشة والإعجاب، ليعتدل من نومته ويجلس فجأة أمامها معتدلًا؛ يجعلها تنتفض ليقترب منها بوجهه قائلًا بصوت متحشرج بسبب نومه المتواصل:
- من؟ من أنتِ؟ هل أنا قد مت وأنا الآن بالجنة؟ أم انتِهى ملك الموت الذي كنت أسمع عنه في حياتي؟ حقًا قد أحببت الموت إن كُنت أنتِ ملك الموت.
هبت نور واقفة مبتعد عنه في خطواتها البطيئة المتثاقلة أمامه موضحة له من هي، يسلط نورس عينيه على قدمها ليعرف من هي قائلًا بسرعة:
- أهذه أنتِ حقًا؟ أنتِ تلك العر، أنا، أنا لا أصدق كيف لم أركِ جيدًا، كيف لم انتبه إليكِ!
لم تجبه بل اتجهت نحو الصبي مساعد النوري لتوقظه بحنان وبصوتٍ هادئ، جعلت نورس ينظر لها وابتسامة صغيرة تظهر على ثغره غير واعٍ بوجودها.
- أيها الصبي، أيها الصبي، استيقظ أرجوك واذهب لإحضار سيدك بسرعة، وأبلغه أن المصاب قد استيقظ.
أفاق الصبي بسرعة وهب واقفًا يومئ برأسه وذهب إلى حيث أُمر.
حاول نورس النزول من على الفراش لكنه صاح بنبرة عالية من الألم جعلت نور تلتفت إليه لتسرع في مساعدته في الجلوس على الفراش مرة ثانية وتدثره بالغطاء برفق، وهي مسلطة نظرها أرضًا وخصلات شعرها تغطي نصف وجهها؛ مما دعا نورس لمد يده المرتعشة ليرجع تلك الخصلات خلف أذنها، لكنها توقفه ممسكة بمعصمه تمنعه من الاقتراب، لترجع يده تحت الغطاء بهدوء لتردف

وبعينيها لمعة جذابة:
- لا تتعب نفسك، سوف أقوم أنا بهذا، كل ما عليك الآن هو ألا تتعب نفسك بفعل أي شيء حتى ولو صغير، فأنت قد خسرت الكثير من الدماء ويج.....
قاطعها نورس بسرعة:
-ولما تساعديننني كان من الممكن أن تستغلي الفرصة وتقتليني.
ابتسمت له ابتسامة حانية رقيقة جعلت منه أسيرًا لتلك الابتسامة لتردف برقة:
- لقد تعلمت أن أساعد الجميع في الخطر إن كانوا أعداء أو أصدقاء، فهذه أخلاقي ولا أستطيع أن أتخلى عنها مهما حدث.
في هذه اللحظة انفتح الباب بغتة ليدخل راوس ووراءه سام لتبتعد نور للخلف بخطوات سريعة نسبيًا تاركة مساحة لراوس وسام للاقتراب من نورس الذي بعد أن رآهما تغيرت ملامح وجهه للضيق والغضب.
- كيف حالك أيها العظيم نورس أصبحت بخير الآن أليس كذلك؟
قالها سام باهتمام.
رد عليه نورس ممعض قائلًا:
-بخير أنا على ما يرام.
قالها وهو يرمق راوس بنظرات غاضبة؛ فهو حتى لم يسأل أو يطمئن عليه عند قدومه، بل اكتفى بالنظر نحو نور ويده تحك ذقنه وهو يتفحصها من رأسها إلى أخمص قدميها.
- ماذا؟ ألن تسأل عن حالتي كما فعل سام؟ أم أنك يعجبك الوقف هناك أكثر يا راوس؟
قالها نورس بنبرة عالية متهكمة.
أنزل راوس يده بسرعة عن ذقنه وتقدم من نورس وهو يقدم الولاء والطاعة وعلى ثغره ابتسامة مترددة ليردف في تذبذب:
- أنا، لا أبدًا، لكني تركت سام يطمئن عليك أولًا وبعدها آتي أنا يا قائدنا العظيم.
رمقه نورس بنظرات نارية، في تلك اللحظة تدخل ريفال وهي ممسكة بذراع النوري وخلفهما شجون وورائها الصبي، يسلط نورس نظره على النوري، لتقترب

منه ريفال وهي ما زالت ممسكة بذراع النوري لتردف مبتسمة:
- حبيبي هذا الرجل من قام بتقضيب جرحك وعلاجك.
- ما اسمك؟ ولما تبدو كالأعمى؟ أأعمى أنت حقًا؟
هتف نورس بلهجة حادة.
ابتسم النوري ابتسامة هادئة ليردف بهدوء:
- اسمي أيهم وأنا بالفعل أعمى لا أرى للأسف، ليتني أرى لكي أتشرف برؤية وجهك أيها القائد العظيم.
وقف نورس بطوله الفارع فجأة متحاملًا على نفسه، لكنه لا يظهر ذلك، جعل الكل يرتجف من وقفته وهو صالب جسده كأنه لم يصب بالأمس قط، ما عدا النوري ونور لم يظهرا أي رد فعل، فتحرك نورس بخطوات متأنية، ليتخطى النوري وريفال متجهًا ناحية نور، ثم مال نحوها ليأخذ كأسًا من على المنضدة الخشبة الموجودة بجوارها، وهو ينظر لها بنظرات غير مفهومة، تحاول نور الصمود لتخفي رعبها من قربه الشديد منها، وليستدير نورس بظهره لها ليتجه نحو النوري الذي لم تفارق الابتسامة الهادئة وجهه، يقف في قبالته رافعًا الكأس أمام فمه ليبصق به ويردف بلهجة أمرة:
- أريد منك أن تشرب هذا يا أيهم أريد أن أعرف صحة نقائه ونظافته.
- سأفعل يا عظيم نورس.
قالها النوري بنبرته التي لا زالت هادئة.
رفع النوري يده ليرشده نورس ممسكًا بيده الكأس ليعطيه له، أخذه النوري وترشفه كله دفعة واحدة تحت أنظار الجميع، فكانت النظرات ما بين التقزز والجزع، وإشفاق وعجز من نور على النوري، أما نورس فقط ارتسمت على ثغره ابتسامة ساخرة.

***

تمر الأيام وقد أصبح نورس متعلقًا بنور أكثر، لا لكي تخدمه أو حتى تكون أمة له، بل أصبح يتعلق بها تعلقًا آخر يشبه تعلق الطفل بأمه التي تأتي له كل صباح لكي ترعاه وتطمئن عليه، ذلك الشعور الذي كان يكبر ويزداد أكثر فأكثر

مع تحسن صحته، لا يشغل باله بأي شيء سوى أن يراها دائمًا بجانبه، وإن غابت عنه اشتعل وجهه غضبًا، ليهدأ سريعًا عند رؤيتها، وكأنها كانت سببًا قويًا يجعله يتمسك بالحياة.

- لقد أصبحت بحال أفضل الآن، أستطيع أن أوكد ذلك مما أراه أمامي الآن.

قالتها نور وهي تقوم بتحضير الدواء ليشربه نورس، ساعدته على ارتشافه وهمت بالخروج.

- انتظري.

قالها نورس بسرعة وهو يهب واقفًا ويتجه نحوها.

- ماذا تريد أيها القائد؟

- أريد أن أريكِ شيئًا ما، تعالي معي الآن.

قالها نورس بسرعة وهو يمسك بيدها متجهين لخارج الغرفة، ما زال ممسكًا بيدها ويقوم بإمساك مقبض الغرفة المجاورة لغرفته ويفتح الباب ويشير لها بالدخول.

-هل ستنتقل من غرفتك إلى تلك الغرفة؟ أظن أنها أضيق قليلًا من الأولى، ولكن إن أعجبتك لا بأس، يجب أن تشعر بالراحة النفسية تجاه ما تريد.

قالتها نور وهي تلف بعينيها في كل أرجاء الغرفة،

كانت الغرفة مساحتها متوسطة بها فراش كبير في المنتصف، وفي وجهة الفراش كان يوجد مكتب صغير مصنوع من الخشب الغامق اللون، ويوجد عليه بعض من الأوراق وبجانبها قنينة صغيرة مليئة بالحبر ومعها ريشة طاووس كبيرة مدرجة باللونين الأزرق والأخضر تستخدم للكتابة، وفي الوسط كان يوجد أربعة من الوسائد الكبيرة الحجم المبرقشة بالألوان الجميلة والرسومات للجلوس عليها، أما بجانب الفراش، كانت توجد شرفة كبيرة مفتوحة على مصراعيها والنسيم الجميل البارد ينبعث منها لداخل الغرفة، كانت هذه الغرفة تعتبر الوحيدة التي ما زالت على حالتها بعد انهيار سدرام.

-ليست لي إنما هي لكي لتكوني قريبة مني.

قالها نورس بنبرة حانية جديدة عليه وهو يبتسم في هدوء.

لم تلتفت إليه نور بل تابعت تحركها نحو الشرفة لتدلف فيها وتغمض عينيها

تتنفس هذا النسيم العليل؛ لتملأ رئتيها به دون أن تنطق حرف، تحرك نورس نحوها ليقف خلفها وسألها في حيرة:
-ألم تعجبك الغرفة؟ أتريدين شيئًا آخر؟ قولي لي وسأفعل أي شيء.
-لا بل أعجبتني، في الحقيقة لم أتخيل أن تكون تلك الغرفة لي.
قالتها نور بابتسامة مطمئنة وهي تلتفت إليه لتصبح أمامه مباشرة لتستطرد قائلة:
- لكني أريد شيئًا آخر وأعرف أنك تستطيع أن تفعله.
- وما هو؟ قولي وأنا سأنفذ.
قالها نورس بلهفة ولين.
التفتت مرة أخرى موجهة وجهها لحديقة القصر لتردف بعين شاردة، وهي تشير بيديها على ذلك المكان الذي تم فيه ذبح الخمس فتيات.
-أريد أن أزرع هنا زهر البنفسج.
-ماذا؟
قالها نورس ببلاهة.
- أريد أن أزرع هنا زهر البنفسج.
- وما معنى هذا؟ وما هي تلك الزهور؟
- إنها زهرة جميلة تجعل منك إنسانًا آخر، ترى بنظرة جديدة كل شيء حولك.
تصمت لبرهة وتتجه ببصرها ناحية الحجرة الموجودة بالحديقة لتظهر ابتسامة واثقة على ثغرها لتضيف:
-وتجعل منك رمزًا جميلًا للعشق والهوى.
كانت نور تتحدث بكل ثقة ونورس يقف خلفها وعينيه مسحورة بها وروحه تائهة في بحر عشقها العميق الذي يكبر بسرعة في قلبه يومًا بعد يوم.

***

أفكار شيطانية.

- أأنت مشغول الآن يا أيهم؟
قالها راوس بلهجة حادة وهو يقف مسندًا ظهره على باب الحجرة التي يقيم بها النوري ومساعده منذ وقت مجيئهما إلى الآن، كان النوري يقف وبجانبه الصبي مساعده أمام منضدة عليها بعض القوارير المليئة بالعقاقير المختلفة والأدوات لصنعها، وبجانبه إناء كبير من الفخار به فحم مشتعل.
- أنا أقوم الآن بعمل دواء وعلاج جديد الذي طلبته مني مولاتي ريفال لترزق بطفل هي والعظيم نورس.
قالها النوري بنبرة عملية.
- أنت أيها الصبي اخرج الآن، فأنا أريد سيدك في شيء مهم، هيا اخرج.
قالها راوس للصبي المساعد بلهجة جامدة.
أومأ الصبي برأسه وخرج من الحجرة بهدوء، أغلق راوس الباب واتجه نحو النوري المولي له ظهره وهو يرمقه بشك، التفت النوري مرة ثانية باتجاه المنضدة، يبحث عن شيء بيده، أبعد راوس عنه كل القوارير ووضع مكانهم إناء الفحم الساخن.
أيها الملعون.
قالها النوري محدثًا نفسه وهو يمد يده ناحية الإناء ليثبت أنه فاقدًا للنظر حقًا.
-آه، آه.
صرخ النوري صرخةً قوية وهو يبعد يده عن الإناء بسرعة.
- لا، لا، يا للسماء لقد أمسكت بالفحم المشتعل بالخطأ.
قالها راوس بنبرة تهكمية ساخرة ليستطرد.
- في المرة الثانية خذ الحذر، فمن الممكن أن تكون سببًا في إشعالك يا كفيف.
ربت على كتف النوري ببرود ليخرج وهو يضحك ضحكة عالية مجلجلة.

- في المرة الثانية سوف أجعل منك قطعة من اللحم المشتعل أيها الكلب الأجرب .

غمغم النوري بغل بدا على وجهه لأول مرة.

- أنا لم أكفائك يا عزيزي سام على تلك الانتصارات المتتالية، سوف أجعلك تختار أي شيء تريده، حتى إن كنت تريد أن تصبح حاكمًا على أي مملكة تختارها واعتبرها لك الآن، وأن أردت شيئًا آخر أخبرني وفي الحال.

قالها نورس وابتسامة غريبة جديدة عليه تزين ثغره وهو يقف بالقرب من مجموعة من الورود المزروعة حديثًا بحديقة القصر، لينحني بجسده ناحية الورود يشتم رائحتها وهو مغمض عينيه براحة وهدوء، بينما يقف خلفه راوس وسام اللذين قد أصابتهما الدهشة مما يفعله نورس، فهو لم يكن هكذا، لقد تغير تغيرًا كاملًا، لقد أصبح أكثر رقة وسعادة وهذا ما جعل راوس يرقبه عن كثب، ويرى تقربه من نور يزداد شيئًا فشيئًا، ليردف وهو يمط شفتيه بمكر:

- أعتقد أن سام يستحق أكثر من أن يكون حاكمًا فقط أعتقد...

- سوف نكمل حديثنا لاحقًا.

قاطعه نورس بسرعة وهو يتجه ناحية نور، التي قد خرجت إلى الحديقة بملامحها الملائكية، التي لا تتناسب مع هؤلاء البرابرة، كانت عين راوس ترقبهم والشر يتطاير منها، ليلتفت ناحية سام ليجده أيضًا مصوبًا عينيه الجاحظتين ناحيتهما وملامحه متقلصة غاضبة، تظهر ابتسامة خبيثة على ثغره وهو يربت على كتف سام بهدوء، يلتفت إليه سام وهو ما زال على وضعيته.

- يمكنك أن تطلبها منه لتصبح خليلة لك.

قالها راوس بخبث.

- حقًا كيف؟ ومتى أستطيع ذلك؟

قالها سام بلهفة واضحة.

- انتظر يوم الاحتفال بالآلهة غدًا لتباركك وتصبح أمنيتك حقيقية.

قالها راوس وهو ينظر إلى نورس ونور بنظرات غامضة.

يدلف بعد راوس وسام إلى داخل القصر وكانت عين أخرى تراقب المشهد، إنها

عين النوري الذي كان مختبئ بحجرته مسلطًا أنظاره على نورس ونور، التي كنت كأميرة حقًا، لقد أطلقت لشعرها الكستنائي الجميل العنان -المحاط بطوق رقيق مصنوع من زهر البنفسج- لتفرده على ظهرها وعينيها تشعان بريقًا وجاذبية بفعل الكحل الأسود، والثوب الذي ترتديه إنه لم يكن من النوع الذي اعتادت على ارتدائه عندما كانت أميرة، ولكنه يفي بالغرض، فقد كان مصنوع من الحرير بألوانه البنفسجية الهادئة؛ والتي جعلت من نورس حقًا عاشقًا لها ولكل ما فيها، ومن نظراته التي تطالعها في هدوء.

- ما تلك الرائحة الجميلة إن لها عبير غريب وجديدًا علي، أهذه رائحة تلك الزهرة التي تزيني بها شعرك الجميل؟

قالها نورس بهيام وهو يقترب منها ليشتم رائحة عطرها الساحر.

- نعم إنه هو عطر زهرة البنفسج، إن عبيرها دائمًا يجعلني أهدأ وأشعر بالسعادة، بينما الجميع يلقبها بالزهرة الحزينة.

قالتها نور وهي تسقي الأزهار.

ظل نورس يتابعها بعينين مسحورتين هائمتين في سحرها، يبتلع نورس ريقه بسرعة ليردف بمرح:

- هي الآن لن تصبح زهرة حزينة بل ستصبح زهرة سعيدة، جميلة، نورية.

كانت عين النوري تتابعهما بقلق وقلة حيلة، ليردف النوري محدثًا نفسه:

- لقد تماديت يا نور وهذا يجعلني أستعد بسرعة للتخلص منهم.

- هل ما زالت تعمل حتى وأنت مصاب؟

قالتها ريفال بخلاعة وهي تدلف إليه في حجرته.

- لا لكني أحضر بعض المواد اللازمة لعمل العقار لكي يا سيدتي.

قالها النوري بنبرة معتدلة وقورة.

- إذن أين هو مساعدك الصبي هل هو هكذا دائمًا لا يتحدث؟

قالتها ريفال وهي تقترب منه وتطالعه بنظراتها الشغوفة، وتتأمل في كل تفصيلة من وجهه تارة، وجسده تارة أخرى، جعلت النوري يبتعد عنها متجهًا ناحية الباب ليردف بهدوء:

-لقد بعثته ليجلب لي بعض الأعشاب الطبية من قرية (نبار) القريبة منكم، وهو للأسف قد حرم من القدرة على الكلام، لكن الله قد وهبه مواهب وقدرات أكبر من الكلام.
-الله! الله! من هو الله الذي دائمًا تذكره في حديثك؟ وأين هو الآن؟
قالتها ريفال مستغربة ممتعضة.
أغمض النوري عينيه ليتنهد بثقل ليردف بهدوء:
-إنه الله عز وجل الذي نعبده وندعوه ونحمده على رزقنا هذه الحياة، إنه في كل مكان حتى هنا بيننا، لقد ميزنا عن سائر المخلوقات وأكرمنا وكرمنا، ندعوه فيستجيب، نعصيه فيغفر لنا دون أي مقابل، لا يريد منا شيء، فهو قادر على أن يمحونا ويخلق غيرنا ليعبدوه ويستغفروه، أفهمتِ يا سيدتي؟
أطلقت ريفال ضحكة عالية مستفزة، جعلت العروق تبرز من عنقها لتردف بسخرية:
-إذن أشر لي على مكانه لكي أمره أن يحضر لي طفلًا الآن.
خرجت ريفال بمشيتها المتمايلة تاركة خلفها النوري يستشيط غضبًا، وقد وصل الغضب إلى ذروته ليردف مغمغمًا:
-الصبر، الصبر، أكاد أن أقتلهم الآن ولكني بمفردي.
-ليرفع عينيه باتجاه نورس ونور ليضيف وهو يجز على أسنانه:
-يجب أن أركِ اليوم يا نور، اليوم وليس غدًا.

***

لقاء بأي ثمن.

أتى الليل ونور جالسة بغرفتها بالقرب من الشرفة ينعكس عليها ضوء القمر يجعلها أكثر جمالًا وكأنما أسطورة من أساطير الجمال الإغريقي، مغمضة عينيها تتنفس نسيم الليل الهادئ محدثة نفسها:

- كيف أكون أنا وأنت يا نوري في نفس المكان ولا نلتقي حتى ولو مصادفة؟ هل سنبقى هكذا؟ لقد مللت ولا أستطيع الانتظار كما قلت لي، حقًا لا أستطيع، أريد رؤيتك الآن، فهذا الكائن يجعلني أرتعش وأشمئز من رؤيته، لكن ما علي هو الصبر والانتظار، أريد أن أراك الآن يا نوري.

تهب نور واقفة مقتربة من الشرفة أكثر وتسند بيديها على سور الشرفة تحاول الوقوف على أطراف أصابعها لتلمح النوري بحجرته، ولكنها لا تستطيع الاتزان كادت أن تقع، وجدت نفسها فجأة بين ذراعي نورس الذي كان يقف خلفها، كل هذا الوقت دون أن تشعر بوجوده معها في نفس الغرفة ليردف بلهفة:

- أأنتِ بخير؟ أصابك أي مكروه؟ أجيبي.

لهفته عليها واحتوائه لها جعلها تتذكر النوري ولقائهما الأخير بمملكتهما (أشمهور)، نظرت بصدمة وابتلعت غصتها بصعوبة لتردف بتوتر:

-أنا، أنا بخير لكني أاا....

ليقطع عبارتها نورس جاذبًا إياها لصدره، اتسعت حدقتا عينيها بفزع ودبت رجفة قوية في أوصالها.

-لن تُصابي بأي أذى، طالما أنا معكِ، سوف أبقى بجانبك ومعكِ دومًا، حتى لو جعلني هذا أمحو كل ما يقف بطريقي ويمنعني من التواجد بجانبك، حتى لو كان الكون كله يقف حائلًا بيننا سأنهيه، ولن أرحم أيًا من كان؛ فأنتِ شمس حياتي التي لن تغرب أبدًا.

قالها نورس بصوت هادر مهزوز، وعيناه تلمع لمعان غريب، شعرت نور بدقات

قلبه العالية السريعة، جعلها ذلك تشعر بضيق تنفس كادت أن تختنق.
-آه، آه، آه.
صدع ذلك الصوت فجأة من حديقة القصر، استغلت نور الفرصة لتفلت نفسها منه وتبتعد عنه، ازداد الصوت في الارتفاع.
- إنه يأتي من حجرة الأعمى.
قالها نورس بجمود
استدارت نور بسرعة ناحية الباب لتمسك بمقبض الباب وتفتحه لتخرج، لم تعِ نور نفسها وهي تترك نورس خلفها وتذهب مسرعة ليتتبعها هو وعلامات الضيق تظهر عليه، كانت شجون ترقبهم وهي مختبئة وراء عمود رخامي ضخم بجانب غرفة نور، ظلت عيناها تتبعهما حتى اختفى أثرهما من أمامها.
- أما زالت لديك هذه العادة السيئة يا شحوم؟
قالها راوس بنبرة تهكمية، وهو يقف خلفها يتطلع إليها بنظرات مظلمة، انتفض جسدها في عنف والتفتت في سرعة تتطلع إلى راوس، واتسعت عينيها عن أخرهما، كان يقف متكئًا على عمود والضوء مسلط على وجهه يأتي من الشعلة المثبتة أمامه على الحائط تجعل ملامحه أكثر رعبًا.
-أنا، أنا كنت هنا بالصدفة ورايتهما فقط.
-اسمعيني الآن ودعكي من هذا الهراء، أريد منكِ أن تستمعي لي جيدًا وتنفذي كل كلمة مما سأقوله بالحرف الواحد.
-حسنًا يا سيد راوس مرني وأنا تحت طوعك وفي خدمتك.
تقدم راوس خطوة منها وهو يقول بنبرة خبيثة:
- أريدك أن تذهبي لهذا الأبهم ليصنع منومًا شديد التركيز، واجعليه يخبرك بطريقة استعماله.
ليصمت لبرهة مستطردًا:
- وإن علمت أنكِ أخبرتِ أحدًا؛ سوف تكون نهايتك حقيقية وواقع، لذا لا تتغابين يا أكبر كتلة من الشحوم في جسد امرأة على الأرض.
كان جسده ينتفض بشدة وصوت تأوهه عاليًا، اقتربت منه نور وجثت على

ركبتيها لتصبح بمقربته، كان يقف خلفها نورس يراقب المشهد بتوتر واقفًا بطوله الفارع.
- إنها حالة تشنج حادة يجب أن أوقفه الآن.
قالتها نور بحزم مصطنع وهي تحاول الوقوف بمساعدة نورس الممسك بيدها يساعدها على النهوض، سارت نحو المنضدة وقامت بأخذ معلقة كبيرة من العسل الأبيض، وأضافت إليها سائل أخضر من مستخلص النعناع القوي وقلبتهما معًا، واتجهت نحو النوري الذي ما زال يتصنع التشنج ويرتعش، جثت مرة أخرى على ركبتيها مدت يديها تحت رأس النوري لترفعه وتضعه على قدميها الجاثية، وتبدأ في رفع رأسه قليلًا لتساعده على ارتشاف الدواء، كانت أنظار النوري موجهة إليها فأمسك بيدها ليضع ورقة صغيرة مطوية بيديها دون أن يراهم نورس.
زم نورس فمه هاتفًا بحدة:
- هل أصبح بخير الآن أما سنبقى هنا طوال الوقت؟
- هل لك أن تساعدني في حمله إلى الفراش يا سيدي؟
قالتها نور وهي تصطنع الرقة والهدوء.
رفع نورس يده واضعًا إياها على رأسه ليمسحها بتوتر، ثم انحنى برأسه ناحية أذنها ليردف بحنان:
- سأفعل أي شيء، أي شيء من أجلك.
- آه.
قالها النوري وهو مغمض العينين بنبرة محتقنة.
ابتسمت نور ابتسامة هادئة، وبدأت هي ونورس في رفع النوري إلى الفراش وشدت نور الغطاء عليه كانت تمد يدها اتجاه جبهة النوري، ولكن أوقفها نورس وأمسك بيدها قائلًا بصوتٍ خافت:
- يكفي هذا لقد أصبح بخير الآن، لنذهب نحن وسوف أبيت عندك الليلة يا أميرتي.
أخذها وأمسك بيدها الباردة ونظرات عينيها المصدومة، ليخرج من الغرفة تاركًا

النوري يشتعل غضبًا وحنقًا، هب واقفًا من على فراشه كاد أن خرج ورائهما لكن منعه مداح ووقف أمامه يمنعه من الخروج، ليدفع النوري للداخل مرة ثانية وقام بغلق الباب.
- ما الذي تفعله الآن؟ دعني أذهب ورائهما، ابتعد عن طريقي.
قالها النوري بصوت هادر غضب.
- هششششش اهدأ قليلًا، يجب أن أخبرك شيئًا مهم، ويجب أن تسمع جيدًا، أما بالنسبة لنور فلا تقلق فلن يقترب منها نورس أو حتى تُمس شعرة منها.
قالها مداح بنبرة منخفضة محاولًا السيطرة على غضب النوري.
- كيف لي أن أصدقك؟ كيف؟
سأله النوري بحدة.
- إن نور فتاة لا يستهان بها، وأنا أثق بها كل الثقة كما تفعل أنت، لذا لا تخف إنها قد حمت نفسها وشرفها إلى الآن كن واثقًا بها.
صمت قليلًا مداح ليردف بنفس الهدوء:
- أريد أن أخبرك بشيء هام قبل أن يعلم أحد بغيابي، اسمع...
أكمل مداح حديثه والنوري يرمقه بنظرات نارية وهو يجز على أسنانه في حنق.

***

- الليلة هي ليلتنا، أريد أن أبقى معكِ، اليوم أريد أن أشبع من النظر إليكِ.
قالها نورس بنبرة حانية هادئة وهو يقترب من نور بخطوات متمهلة، كنت نور ترتعد، ابتلعت ريقها وهي تراه يحدق بها بنظرات لم تفهمها، تنحنحت وكادت أن تتكلم لكن الكلمات قد حُشرت في حلقها ولم تستطع إخراجها، قد فوجئت به يحملها من على الأرض بين ذراعيه ليضعها على الفراش بكل رقة وحنان، زحفت بجسدها إلى حافة الفراش وهو ينظر إليها بنظرات عاشقة فقط، لم يتحرك من مكانه إليها، كأنه قد ثبت في مكانه لا يستطيع الاقتراب منها، يكتفي فقط بالنظر إليها، حتى أنها اندهشت عندما رأت عينيه تلمع بالدموع، ليردف بصوت مرتعش شبه باكٍ:
- أعرف أنني ملعون، بائس، لا أشبه بني البشر بشيء، هل، هل تعرفين أنني

أشعر بالاشمئزاز من نفسي دائمًا؟ حتى أنني لا أريد أن أرزق بطفل، حتى يصبح مثلي مجرد بربري مقزز، لكني الآن أريد أن أرزق بطفل، حقًا أريد ذلك ويكون منكِ أنتِ يا نور.
صمت للحظات ليغمض عينيه باستسلام، وينحني برأسه ناحية قدميها واضعًا رأسه على قدميها مغمض العينين في سلام، تقلصت ملامحها لتتحول للاشمئزاز لكنها جاهدت نفسها لكي لا تظهرها، أمسك بيديها بكفه الخشن الكبير ليضعها على رأسه، وهو مغمض جفنيه في استسلام وطمأنينة، ليستطرد بنبرة متحشرجة:
- أنا لا أستطيع أن أقترب منكِ أكثر من ذلك، كلما أردت أن أقترب أكثر، أشعر وكأن النار قد اشتعلت بين ضلوعي، أكاد أن أحترق، لذا لا أستطيع الاقتراب أكثر من ذلك، وإذا حاولت أن أتغلب على ما أشعر به نحوك وهممت بالاقتراب، أراكِ حينها كالثوب الأبيض الناصع البياض، يتملكني شعور غريب أنني إن لمستك سأدنس براءتك وطهرك، وأعكر نقاءك لذا.
رفع رأسه فجأة ليهب واقفًا مبتعدًا ناحية الباب، ليضيف بنبرة حماسية هادرة: سأفعل أي شيء لأكون جديرًا بكِ يا نوري وبقلبك.

أمسك مقبض الباب وفتحه ليخرج من الغرفة تاركًا نور في حالة من الهلع والترقب من الغد وما سيحدث، تذكرت تلك الورقة المنكمشة بين قبضتها لتفتحها وتقرأ مضمونها القصير: "لقد انتهى صبري، لذا أراكِ غدًا؛ لأعطيكِ أول مسمار في نعش تلك الحيوانات، فتشجعي".
رفعت عينيها عن الورقة وصوبت نظرها نحو الشعلة في غرفتها، ونزلت من على الفراش واتجهت ناحية الشعلة، وأمسكت الورقة وقامت بحرقها وعينيها تلمع بنظرات التحدي والإصرار.

***

يوم الاحتفال.

أتى صباح جديد، وهو يوم الاحتفال، إنه يوم يتجردون هؤلاء البرابرة من كل أسلحتهم، إنه كما يلقبونه (يوم محو الدماء)، فيه يقومون بالاحتفال بدخولهم حياة جديدة تمحو كل الدماء التي قاموا بسفكها سابقًا ليبدؤوا حياة جديدة خالية من الدماء، لهذا يحرم عليهم استخدام أي سلاح أو سفك أي دماء، إنه في اعتقادهم المريض إنه يوم محو الذنوب، كانوا جميعًا يحتفلون، الرجال والنساء يرقصون على أنغام الطبول والمزامير، وكؤوس الخمر تترنح بين أيديهم في الهواء، الكل يقدم التحية والمباركة لقائدهم نورس الذي كان على غير عادته لا يشرب أو حتى يرقص كما كان يفعل، بل كان جالسًا على كرسيه، يرسم على وجهه الابتسام مجاملًا لمن يحيه فقط، يبدو عليه السكون التام والهدوء يرفع رأسه كل لحظة ليراها، ولكنها لم تأت، كانت ريفال تجلس بجانبه على كرسيها ويدها ممسكة بكأس من الخمر ترتشف منه وهي في غاية السرور، تتمايل بجسدها المثير على أنغام الموسيقى.

كانت تنتظر قدومه لتغرقه بالخمر ويصبح تحت تأثيره وتستغل نقطة ضعفه وتقضي معه الليلة المنتظرة، لتشبع رغباتها وتحقق حلمها في أن ترزق بطفل، كان راوس واقفًا كعادته بجانب ريفال يراقب الكل عن كثب بنظراته الشيطانية وخاصة نورس، وأخيرًا خرجت نور بملامحها الملائكية إن لها هالة أخرى من نور تجعل كل القلوب والعيون تتجه نحوها هي فقط، كانت تمر بين الموجودين بعطرها الفواح الذي يجعل الكل أسيرًا لها، وشعرها المموج المفرود خلف ظهرها، ورائحته الزكية العطرة، وعينيها الساحرة، وبشرتها النقية الجميلة وقف نورس مسرعًا ناحيتها ليمسك يدها ويجلسها بالقرب منه، فما كان من ريفال إلا أن تتجه نحوهما لتردف بحقد:

- لما كل هذا الاهتمام يا عزيزي نورس؟ إنها ليست بجمال الموجودين، لذا لا

يوجد داعٍ لكل ذلك.
كانت نور خافضة رأسها أرضًا، أما نورس كان يتطلع إليها بكل نظرات العشق والهيام، ليلتفت فجأة ناحية ريفال ليردف بجمود:
- أنت قلتِها هي ليست كالموجودات، لذا ابتعدي قليلًا لا أريد شيء يعكر مزاجي.
دفعها بيده بقوة، كادت أن تقع لكن راوس التقطتها قبل أن تسقط، اتسعت حدقتاها عقب فعلته تلك، كانت تهم بالهجوم على نور ولكن أمسك بها راوس، ليردف بغموض بالقرب من أذنيها:
- أختي العزيزة، انتظري واهدأي، عليكِ التركيز الآن على أبي طفلك المستقبلي.
لمح قدوم نوري ممسكًا بيد شجون تساعده في المشي، ليضيف رواس بابتسامة صفراء:
- هيا اذهبي، لقد أتى الأب، هيا.
أومأت ريفال برأسها بالإيجاب واتجهت نحو نوري وشجون، وكان راوس يتبعها بنظرات خبيثة.
- ابتعدي أنت يا شجون، اذهبي لمساعدة مداح والآخرين في تقديم الطعام والشراب.
قالتها ريفال بنبرة أمرة وهي تفصل يد شجون عن ذراع النوري.
غمغمت شجون مع نفسها بغيظ وهي تبتعد عنهما، أمسكت ريفال بذراع النوري وكادت أن تمشي به، ليقاطعها النوري بسرعة: سيدتي ريفال أريد أن أتحدث مع الطبيبة نور، أريد أن أعرفها على تفاصيل الدواء الذي قمت بتركيبه أخيرًا من أجلك يا سيدتي.
- لكنها ليست طبيبة إنها مجرد أمة فقط، أخبرني أنا بما تريد وأنا سوف أخبرها.
قالتها في لهجة جامدة عصبية.
ابتسم النوري لها ابتسامته الجذابة ليردف بهدوء:
- آسف إن أزعجتك، ولكن الدواء له طريقة معينة يجب أن يرج ويذاب ببخار ماء أت....

قاطعته ريفال بنبرة أنثوية مغرية:
- حسنًا لنذهب إليها.
ضغطت بقبضتها على ذراعه وهي تتجه ناحية نور، كان راوس يرقب فقط، لم يخرج حرف واحد وهو يتطلع ناحية نورس ونور ويرقب رد فعله عندما وصلت إليهم ريفال مع النوري.
- ألم أقل لكي اذهبي بعيدًا؟
قالها نورس لريفال بحدة.
- أنا يا عظيم من طلب ذلك، لقد قمت بتركيب الدواء الذي سيساعد في أن ترزقا بطفل سليم معافى.
أجابه النوري بصوته الرزين.
أشار له نورس بالمتابعة وهو يلكزه في ذراعه بفظاظة قائلًا بتعجرف:
- أكمل ولكن باختصار، لا أريد تضيع وقت الاحتفال.
هز النوري رأسه مستطردًا:
- أريد منك يا نور أن تعرفي طريقة تحضيره فقط لتأخذه سيدتي ريفال وحدها ويتم المراد.
صمت للحظات ليردف بنبره جادة: إن المكونات أعتقد لديكِ معرفة بها، في بداية الأمر ستشعر سيدتي ريفال بالإرهاق والضعف، وهذا يدل على علامات نجح الدواء وبعدها بأيام قليلة ستتحسن حالتها أكثر فأكثر، ويجب أن تأخذها ثلاث مرات في اليوم، ولا تفوت جرعة واحدة، هل فهمتِ يا نور؟ أعيد عليكِ؟
- كلا، لقد فهمت لا تقلق سأفعل ما تقوله بالحرف الواحد.
قالتها نور بنبرة واثقة.
- الآن وقد انتهينا من التعليمات هيا إلى الاحتفال.
قالت ريفال بمرح، ممسكة بذراع نورس جاذبة إياه ليرقص معها، لما يستطع الإفلات من بين يديها؛ فقد تجمع حوله كثير من الرجال والنساء يرقصون حوله بمرح رافعين كؤوسهم عاليًا يحيونه.
- أين أنت يا سام لتأخذ مكافأتك؟

قالها راوس بابتسامة صفراء وهو يدلف لداخل القصر.
جلس نوري) بجانب نور وأشاح بوجهه بعيدًا عنها ليردف بصوت مسموع:
- أتعرفين ما الذي ينوي عليه راوس؟
- لا أعرف.
انحنى نوري بنصف جسده ناحية الأرض كأنه يقوم بشد رباط حذائه.
- إنه بعث لي تلك العملاقة لأقوم بتركيب منوم شديد التركيز ويضعه لكي في المشروب ويقوم ذلك النتن باغتصابك.
شهقت نور مما سمعته لتردف مفزوعة:
- وهل قمت بصنع ذلك؟
- أجل فعلت ولا تقاطعيني الآن، لا يوجد وقت سأختفي بعد قليل من أمامك، أريد منكِ أن تحذري، وأنا أثق بكِ لذا لا تفزعي، لقد اقتربنا.
هب النوري واقفًا ومال نحوه قائلًا بحزم:
- لا تدعي أحدًا يمس شعرة منكِ يا نور، مهما حدث معكِ لا تدعيهم يلطخونك بعارهم وقذارتهم.
- لا تخف فأنا على عهدك ولن أنخسه أبدًا.
ظهرت ابتسامة ثقة على ثغره وهو يستدير متجهًا ناحية حجرته بحديقة القصر، لمحته ريفال فابتعدت خفية عن الجموع لتذهب وراءه وهي تلتفت حولها بقلق لتتخفى عن الأنظار.

***

كانت تقف خلفه ترقبه بعين راغبة، تقدمت منه ورفعت يديها على ذراعه القوي تتحسسه برقة ونعومة لتردف بدلال:
- من كان يصدق هذا الملك مداح حاكم مملكة (سدرام)، هو نفسه كبير الخدم الآن، حقًا لا أصدق ما أراه.
استدار إليها مداح نظر لها بطرف عينه ليردف بنبرة معتدلة:
- أنا أعرف مدى فرحتك وسرورك بذلك؛ فقد حصلتِ على انتقامك مني أخيراً وها أنتِ الآن تريني مذلولًا.

- لا، لا تتفوه بتلك التفاهات، أنت تعلم أنني لا أحمل أي ضغينة أبدًا في قلبي لأحد، ولا تسئ الظن، لولاي كنت قد ذبحت ولكني تضرعت وتوسلت إلى الملكة ريفال لتسمح لك بالعيش هنا، أنسيت ذلك يا، يا مداح.
قالتها شجون بابتسامة متشفية.
- لا لم أنس فضلك، لهذا ليس لي أن أشتكي، أحاول الحفاظ على حياتي.
قالها مداح بيأس مصطنع.
لتردف شجون بسرعة:
- لا لا تقل هذا، فأنت في عيني ما زلت الملك مداح، الذي حلمت دائمًا في التقرب منه.
احتضنت يداها الضخمة وجهه وهي تنظر إليه بجراءة وكادت أن تقبله حتى قاطعها صوت راوس الهادر:
- ما الذي تحاولين فعله أيتها الخرتيت الضخم؟
أزاح مداح يديها عن وجهه، وابتعد عنها متخطيًا راوس متجهًا لخارج القصر.
رمقها راوس باشمئزاز ليردف بحنق:
- أحضرتِ ما طلبته منك؟
أومأت برأسها في توتر، وضعت يديها داخل ثوبها لتخرج منه قارورة صغيرة مليئة بسائل شفاف مثل الماء ومدتها إليه، أخذها منها بعنف ورفعها أمام نظره ينظر لها والشر يتطاير من عينيه، ليستطرد بخبث وما زالت أنظاره على القارورة:
- استمعي إليّ جيدًا، أريدك أن تضعيها كلها بكأس من الماء، وتحضريها إلى غرفة نور، هذا ما ستفعلينه.
أعطاها القارورة واستدار بظهره وهم بالخروج، لكنه توقف فجأة مضيفًا باستهجان:
- إن أردتِ الاستفراد به دعكِ من تلك الفكرة، لأني لا أظن أنه سيرغب بكِ أحد يومًا ما.
أصدر صفير من بين شفتيه الذي جعلها تشتعل غضبًا، ليذهب هو تاركها تجز

على أسنانها قهرًا وحنقًا لتردف بغل:
- سأفعل ما تريده أيها القواد القذر، ليس خوفًا منك، بل لأرى تلك العرجاء مدنسة وتفقد طهارتها أمامي.
تصمت للحظة لتمسك بكأس وتنزع غطاء القارورة وتصبه أمام عينيها الحمراوتين وتظهر ابتسامة خبيثة على ثغرها مستطردة:
- إن لم أجعلك العاهرة الأولى لهذا المكان ومع كل رجال القصر، لن أكون أنا شجون، أما أنت أيها الراوس القذر فسأنهيك بيدي تلك.

***

كان يقوم بجمع أشياءه في عجلة ليهم بالرحيل، أحس بأنفاسها خلفه، أخرج بسرعة من حقيبة أدواته قطعة من القماش بللها بسائل شفاف، وكورها بين يديه كي لا تظهر، وأصبح على أهبه الاستعداد لينقض عليها.
- لقد أتيت لك بقارورة الخمر هذه لكي تحتفل مثلنا.
ريفال بنبرة إغراء واضحة.
- كان يجب عليكِ ألا تأتي إلى هنا.
قالها النوري بحزم.
-لماذا....أاا.....
قاطعها النوري وهو يلتفت إليها مستطردًا:
-إن المكان هنا ملوث، لهذا لا يجب أن تستنشقي هواءه حتى.
لينهي عبارته بابتسامته الجذابة، لتقترب منه أكثر على أثر ابتسامته قائلة بدلال:
- إذا ما الذي علي فعله لكي لا استنشق؟
بسط كف يده أمامها لتمد يديها لتمسك بقطعة القماش.
- وما هذا؟
- ضعيها على أنفك وفمك لتحميكِ يا سيدتي من الهواء الملوث.
قالها النوري بنبرة حانية مصطنعة.
رفعت ريفال قطعة القماش إلى أنفها وفمها بنظرات متبجحة، لتتحول رويدًا رويدًا إلى نظرات واهنة؛ لتسقط على الأرض مغشي عليها أمام أنظاره الباردة.

***

- أخيرًا قد جاء قائدي المفضل.

قالها نورس مُرحبًا بسام.

- أعتذر عن تأخري، كان يجب أن أظهر في كامل لياقتي وعلى أحسن وجه أليس كذلك.

قالها سام مبتسمًا وهو يضرب على صدره بفخر بادله نورس الابتسام مشيرًا له ليجلس بجانبه، انصاع سام لأمره وجلس، اقترب منه راوس ممسكًا بيده قارورة خمر ليدنو نحو سام قائلًا بخبث: سوف تحتفل اليوم مرتين، الأولى بيوم الاحتفال، والثانية بحصولك على تلك الطاهرة خليلة لك.

أخذ منه سام القارورة وعلى وجهه ابتسامة شيطانية، ليرتشف منها مرة واحدة وعينيه مسلطة على نور بنظرات راغبة متملكة.

في حجرة النوري كانت ريفال ممددة على فراشه، بينما هو كان يبدو عليه القلق وهو يحك أسفل رأسه بتوتر، ويأخذ الغرفة ذهابًا وإيابًا حتى توقف فجأة واتجه ناحية النافذة التي تطل على خلف القصر، ليفتحها ويردف بعصبية:

- ألم أقل لكِ ألا تتأخري كل هذا الوقت، لتخبريهم بعودتي الليلة وعليهم الاستعداد.

كان يمد ذراعيه ليلتقط تلك الضئيلة ليدخلها إلى داخل الغرفة.

- آسفة حقًا أيها القائد النوري، لكن المسافة كانت طويلة لهذا قطعت وقت أطول.

قالتها وهي ترتب ملابسها وتنظفها من تراب الطريق.

- حسنًا، اذهبي إلى تلك البائسة وقومي بنزع كل ملابسها وضعي عليها الفراش.

- لماذا يا سيدي أفعل ذلك، هل ملابسها غير نظيفة؟

-بل لأنها غبية، كانت تظن أنني أعمى، يعني ذلك لها أني لا أسمع خطتها هي وذلك الدنس راوس.

- آه، حسنًا فهمت.

- وأخيرًا، الآن اذهبي لما أمرتك بفعله، وأنا سوف أقفز من تلك النافذة للخارج

وأنتظرك، هيا ليس لدينا وقت كافٍ.
هزت رأسها بالإيجاب واتجهت نحو ريفال لتبدأ في نزع ملابسها.
***

إعلان العشق بالدم.

كان يترنح في رقصه مع الفتيات، يمسك بواحدة ليبدلها بأخرى بعد ثوان، وكان يرمقه نورس بحنق، أما راوس كان يتابع الأحداث من بعيد بهدوء ورزانة، استمر سام في ترنحه، في أثناء ذلك كنت نور متجهة إلى داخل القصر حتى انقض على معصمها سام، وأمسك بها بيده الصلبة الضخمة، وهي تحاول الإفلات من قبضته القوية وباليد الأخرى أشار بها ليتوقف العزف؛ عم السكوت المكان ليردف سام بصوتٍ هادر:

- لقد كافأتني يا نورس العظيم أن أكون حاكم على أي مملكة أختارها، ولكن أتنازل عن هذا الحكم وكل ما أريده الآن هو أن أخذ تلك الطاهرة خليلة لي أنا فقط.

كان الجميع صامتين وأنظار الجميع متجهة ناحية نورس في ترقب، الذي هب واقفًا من جلسته واتجه ناحية سام الممسك بنور في خطوات واسعة، وعلى ثغره ابتسامة غريبة لم يستطع سام وحتى راوس تفسيرها، اقترب منه ليردف بهدوء وهو يحوم حوله بخطوات متأنية مرعبة:

- أنا حقًا أستغربك يا عزيزي سام، لقد تنازلت عن حكم مملكة لأجلها هي.

- نعم يا قائدي العظيم، فأنا منذ أن رأيتها وأنا أريدها لي، وأنا مستعد كل الاستعداد للتنازل عن أي منصب لأجلها هي فقط.

قالها سام بصوت هادر وهو يجذبها إليه.

أمتنع نورس عن الحراك فجأة ليقف خلف سام ويقوم برفع ثيابه؛ ليخرج خنجره المسنون وذبح به سام المفضل لديه، وينزع قبضت سام عن معصم نور ليرفع يدها عاليًا محتضنها في قبضته.

ليصيح بصوتٍ هادر:

- لقد تنازل عن حكم مملكة من أجلها.

يصوب أنظاره إلى راوس مضاف:
- أما أنا سأتنازل عن كل شيء وأي شيء وإنها الآن خليلتي أنا، أنا فقط.
كانت تتململ على الفراش حتى فتحت عينيها في كسل وحركتهما في أرجاء الحجرة، ثم اعتدلت في جلستها لتكتشف أنها عارية تشد الغطاء لتخبئ نفسها أكثر:
- يا للسماء لا أعرف ماذا حدث وأين هو الآن؟
تلمح ثيابها موضوعة على حافة الفراش تقوم بسحبهم إليها، وتسرع في ارتدائها وعلى وجهها ابتسامة ماكرة.
كانت تتمايل بجسدها الضخم وتصدر صوت همهمة على نغمة ما لتردف مبتسمة:
- لقد تخلصنا من الأول، ولكني لم أكن أفكر في التخلص منه، لقد كان المرحوم سام حقًا... ولكن ماذا سنفعل للقدر عندما يريد.
- ها أنتِ قلتِها الآن القدر عندما يريد.
انتفضت من ذلك الصوت الرجولي الحازم، والتفت ناحيته لتتسع حدقتا عينيها في صدمة، فقد كان مداح يقف أمامها بزيه العسكري وخوذته المعدنية ممسكًا بسيفه اللامع الحاد، تسمرت شجون في مكانها رعبًا، ليردف هو في نبرة جادة رافعًا سيفه في وجهها:
- أنا أعرف ومتأكد كل التأكيد أنكِ أنتِ كنتِ من الخونة، وكنتِ السبب الرئيسي في ثورة شعبي ضدي، ولكنكِ بغبائك وحماقتك المعهودة رميتِ نفسك في أحضان من لا يرحمون.
يصمت لبرهة مستطردًا وعلى ثغره ابتسامة باهتة:
- أنا أيضًا لا أرحم من خانني أيتها المرأة السمينة.
قال تلك الكليمات وانقض عليها بسيفه الحاد غارزًا إياه بصدرها، وأخذ يطعن ويطعن فيها، وعيناها جاحظتان تحت أنظاره المشمئزة.
- ابقي هنا ولا تخافي، لن يجرؤ أحد على الدخول إليكِ.

قالها نورس بنبرة مهزوزة مجنونة لنور وهو يمسك بمقبض باب غرفة نور، لينزع المقبض ويخرج من الغرفة متجهًا بخطوات واسعة إلى غرفته هو وريفال، فتح باب الغرفة ليجدها على الأرض مستلقية على بطنها اتجه ناحيتها وجثا على ركبتيه ليرفعها عن الأرض موجهًا وجهها نحوه، كانت في حالة إعياء شديدة وكان الدم ينزف من جانب فمها ويصدر منها أنين خافت يشبه الهمس.

- من فعل بكِ هذا؟

قالها نورس بصوت هادر وهو يهزها بين يديه بقوة.

أشارت إليه ليقترب منها، أحنى رأسه نحوها يستمع إليها وكل حواسيه منتبهة لتردف بنبرة متهتكة:

- كنت، أظن إن ارتشفته كله دفعة، واحدة، سأحظى، بطفل، إنه، إنه سم، وليس دواء، أيه...أيهم.

ظل بوضعيته لوهلة ثم احتدت نظراته ليصيح بصوت أجش:

-أين هو الآن أجيبي؟

لم يجد منها ردًا فقد جحظت عيناها، وأصبح جسدها بارد كالثلج، لقد انتهت ريفال، كان يطالعها بعين مصدومة، كيف هكذا تنتهى حياة تلك الجميلة التي كانت تملأ حياته بالمرح والحياة، كان يحدث نفسه بتلك الكلمات، وهي ما زالت بين يديه، حتى لمح القارورة الصغيرة كانت ممسكة بها بين قبضتها، أخذها منها برفق ثم وضع يده رأسها والأخرى أسفل قدميها؛ ليحمل جسدها ويتجه بها حاملًا إياها، ليضعها على الفراش برقة ورفق، ويطبع قبلة على جبنيها ليردف بغل:

- سأنتقم منه شر انتقام ولن أرحمه من أجلك ريفال.

***

- أخيرًا خرج، لقد كنت خائفًا أن يظل أكثر من ذلك.

استدارت نور نحو مصدر الصوت لتجد راوس مستندًا بجسده على المكتب وهو مشبك ذراعيه أمام صدره.

- ماذا تفعل هنا؟ وكيف دخلت أيها الكلب؟

قالتها نور بحدة بصوت هادر.
انحنى راوس نحو المكتب وأخذ الكأس الذي وضعته شجون، امسك به ليردف وهو يمط شفتيه بسخرية:
- كنت حقًا أتمنى أن أبدأ بخطة الكأس معكِ، ولكن للأسف لم يمهلني الوقت، كان علي أن أقفز إلى هنا.
حرك ذارعه في الهواء ناحية الشرفة مستطردًا:
- من الشرفة، إذًا ليس له أي أهمية الآن هذا الكأس اللعين، وما فيه من جائزة.
رمى الكأس بقوة ليضرب به الأرض، قفز إليها فجأة لتسحب قدميها للخلف ولكن سرعتها لا تكفي للابتعاد عنه، جذبها فجأة إلى صدره، حاولت أن تتفلت من بين ذراعيه القويين؛ لكنه ازداد تمسكًا بها، ليدنو من وجهها وهو يتطلع لها بنظرات مخيفة، قرب وجهه المرعب أكثر من وجهها ليردف بنبرة خافته مخيفة:
- أنا لا أعرف سر انجذابي لكِ.
مد يده يمسح وجنتها بطريقة مقززة شهوانية ليضيف:
- أوجهك الجميل هذا؟
لينقل يده يمسح على شعرها:
-أم هو شعرك الكستنائي اللون هذا؟
ينتقل بنظره لعينيها مضيفًا بجرأة:
- أم تلك العينان التي تسحر كل من يرها؟
يغمض عينيه ليشتم عطرها الساحر بجنون.
- ابتعد عني، اتركني أيها القذر أاا.....
قطع عبارتها دخول نورس بغتة والشر يتطاير من عينيه وهو يصرخ بصوت هادر:
- راوس ما الذي تفعله أيها الخائن؟
لم ينبس راوس بحرف، فقد انقض نورس عليه ليجذب نور نحوه، ابتعدت عنهما وظلت تراقبهما بنظرة متشفية وهما يتعاركان عليها، لم يكن راوس في قوة ذلك العاشق المجنون، رغم كل محاولاته المستميتة في الإفلات من بين يدي هذا

الثائر، إلا أنه لم يستطع الإفلات، ليمسك به نورس رافعًا إياه عن الأرض وهو يعتصر رقبته بين يديه صائحًا بهيسترية:
- أنت لم تجعل لي خيارًا آخر، فقد أعلنت حبي لها من قبل، وكان هذا أمامك لكن لتتأكد من حبي لها؛ سأقوم بإعادتها مرة ثانية، لكن تلك المرة بك.
أفلته من بين يديه ليرتطم جسده بالأرض بقوة، ليخرج خنجره وينقض عليه بطعنات متتالية في صدره، كأنه يتأكد من موته بتلك الطعنات، رفع عينيه إليها ليردف وهو يلهث:
-ألم أقل لكِ أنه لا يوجد ما يمنعني عنكِ وإن وجد سأمحوه، وهذا ما سأفعله من الآن أنا.

***

دخول جيش النوري

قاطعه صوت صرخات مدوية تأتي من الخارج، قام من جلسته يتجه نحو الشرفة ليرى ذلك المشهد، لقد انتشر حول القصر وبداخل القصر الآلاف من الجنود، وكان في مقدمتهم مداح والنوري، لتلقي في تلك اللحظة أنظار النوري مع نورس.
ارتجف نورس من قمة رأسه وحتى أخمص قدمه وهو يقول مندهشًا:
- إنه ذلك الرجل الأعمى! كيف، كيف حدث ذلك؟ إنه...
ليستدير للخلف ناحية نور فجأة ويتقدم منها بخطوات سريعة ممسكًا بيديها ليردف بصوتٍ مترعش مجنون:
- سنخرج من تلك الغرفة القذرة الآن.
أخذها وخرج بها من الغرفة وهو يتلفت حوله بريبة، وسرعة في خطواته وهو يجرها خلفه معتصرًا يدها بين قبضته، أخذها إلى الطابق العلوي الذي كان شبه مهجور ليمسك بمقبض إحدى الغرف ويفتحها، كانت الغرفة مليئة بأشياء قديمة من الخشب يغطيها الأتربة والغبار، وكان لا يظهر منها سوى أقل القليل بفعل الضوء البسيط الساقط من الشمس، التي بدأت تشرق من خلال النافذة الصغيرة الموجودة بأعلى الغرفة.
- سوف آتي إليكِ في الحال، سأنهي هؤلاء الضعاف بسرعة وآتي إليكِ حبيبتي بسرعة.

***

- سأذهب أنا الآن إلى نور لكي أقضي على ذلك القذر وأعوانه.
قالها النوري بسرعة لمداح وهو يتجه ليدلف القصر.
- اذهب يا النوري لتقضي عليه، واترك لنا هؤلاء الهمجيين لنقضي عليهم بإذن الله.
صاح مداح بصوت هادر ليضيف:

- يا رجال لننتقم من هؤلاء البغاة معًا، هيا.
صاحت الأصوات عاليًا في حماس، وهم يقتلون أعدائهم بشراسة وشجاعة، فكان كل واحد منهم لديه ثأر كبير معهم.
كان النوري يتحرك بخطوات سريعة واسعة وهو ممسك سيفه في حالة التأهب، وكل ما يجول بباله هو إنقاذ نور والثأر من ذلك النورس، ليمحو أسطورته من على وجه الأرض تمامًا، اقترب من غرفة نور وأمسك بمقبض الباب ليفتحه فجأة، ليجد جثة راوس على الأرض مقتولًا بطريقة وحشية، يبحث بعينيه كل ركن من أركان الغرفة سريعًا ولكنه لم يجدها، ترك تلك الغرفة ليتجه ناحية غرفة نورس وريفال، أمسك مقبضها ليفتحها فجأة ليلمح جسد ريفال على الفراش، وسلط أنظاره بسرعة على الغرفة ليتركها ويكمل بحثه عن نور.

***

نهاية عاشق.

كانت نور تحاول فتح ذاك الباب المغلق عليها بإحكام، تمسك بالمقبض تحركه في عنف وتهزه، ولكن دون جدوى لتجد فجأة المقبض يتحرك من الخارج ليفتحه نورس.

- أتعرفين من هؤلاء القوم؟

قالها نورس متسائلًا وكانت حدقتا عينيه تتحرك بطريقة هستيرية مجنونة مستطردًا بنبرة غريبة في هدوء:

- لقد سمعت أحدًا منهم يناديه باسمه النوري، أهذا هو اسمه الحقيقي؟ أم أنا أتخيل؟

صمت للحظة جحظت عينيه ليضيف وقد ارتسمت على ثغره ابتسامة ساخرة:

- هو اسمه النوري، وأنتِ، أنتِ اسمك هو نور، كيف، كيف لم ألاحظ ذلك منذ أن رأيتك؟ هل لهذه الدرجة كنت أعمى؟ هل لهذه الدرجة قد شغفت بكِ ولم ألاحظ.

ليطلق فجأة ضحكة هسيترية مجنونة عالية وهو يستند بجسده على حافة باب الغرفة محني الرأس للأسفل، كانت ضحكاته تزيد أكثر فأكثر ليتوقف فجأة عن الضحك ويرفع رأسه لها وقد تبدلت نظراته إلى نظرات مليئة بالحب والعشق، ليردف بهمس وبحنان وهو يقترب منها:

- أتعرفين حتى ولو ستكون نهايتي على يديكِ أنتِ فلتكن، عندها لن أخسرك بل سأخسر نفسي فقط.

وجدت نفسها فجأة بين أحضانه وهو يمسح بيده على شعرها برقة وحب في تلك اللحظة، كان النوري يقف خلفه ممسكًا بخنجره كاد أن ينقض عليه لكنها أشارت له أن يعطيها إياه.

- وأنا سأحقق أمنيتك بيدي.

قالتها نور وهي تغرز الخنجر بجسد نورس في مقتل.
أطلق أنين ليهمس بأذنها بنبرة مرتعشة:
- أشكرك على ما، فعلتيه، فأنا، لم أكن أتمنى، غير ذلك.
ابتعدت عنه لتشاهده لجزء من الثانية وهو يسقط على الأرض، أخذت ترتجف وانهارت قواها لتسقط على الأرض ودموعها تنساب من عينيها بلا توقف، جثا النوري على ركبتيه بجانبها ليأخذها بين أحضانه وهو يشد أكثر باحتضانها، ليزحف نورس على الأرض الباردة الناعمة نحو قدميها ليرفع رأسه بضعف على قدميها، ويغمض عينيه في استسلام وعلى ثغره ابتسامة راضية.

***

السلام.

كانت نور جالسة أمام مرآة الزينة وخلفها وصيفتها تقوم بتسريح شعرها.
- أتعرفين يا مولاتي أنني منذ أن رأيتك لأول مرة وأنا أتمنى أن أصبح وصيفة لكِ؟
قالتها الوصيفة وهي منغمسة في تسريح شعر مولاتها.
لتردف نور مبتسمة وهي تنظر لانعكاسهما في المرآة:
- أما أنا يا سدن، كنت أعتقد أنكِ صبي صغير ضئيل مثلي، ولكني تفاجأت عندما علمت أنكِ فتاة ولستِ صبي.
ابتسمت مرة أخرى، وقالت متسائلة:
- ولكن لما كنتِ متنكرة في ملابس صبي؟ وكيف تعرفتِ على النوري؟ وكيف أيضًا أصبحتِ مساعده الوفي؟
ابتسمت سدن في مرارة قائلة:
- أنا ابنة الرسول الذي أرسله الملك مداح إلى مملكتكم، ولكن لم يمهل القدر للوصول إليكم، فقد كان مصابًا إصابة بالغة جعلته لا يستطيع أن يكمل ومات في منتصف الطريق، أما عن تنكري فتاة إلى صبي، لقد هربنا أنا وأمي وأخوتي الصغار من بطش هؤلاء البرابرة وكنا نعيش بداخل القصر، فقد كان أبي اليد اليمنى للملك مداح، فكان قرار الهروب هو النجاة الوحيدة من بطشهم واستقررنا في قرية (نبار) مختبئين، تغيرت نبرتها إلى فرحة مستطردة:
- إلى أن أتى إلينا الملك النوري، فكانت (نبار)هي القرية الوحيدة التي لم تمس منهم، دخلها واستطاع بعزيمته وقوة إرادته تكوين ذلك الجيش القوي من جميع القرى المجاورة لـ(نبار)، فقد اتخذها قاعدة عسكرية له.
صمتت برهة، لتهتف بابتسامة واسعة:
- وفي يوم عرضت على الملك النوري فكرة وهي أن يتنكر جميع الرجال في زي النساء، حتى إذا جاء أحد من هؤلاء البرابرة إلى (نبار)، يجد أن معظم سكانها

من النساء وبعض كبار السن والأطفال.
تعجب قليلًا من الفكرة ولكنها أعجبته بعد ذلك عندما أدار الفكرة برأسه عدة أيام.
ضحكت نور على آخر جملتها لتردف مبتسمة:
- هذا هو النوري الذي أعرفه، يحب دائمًا التأني إلا في حالات استثنائية.
أتاهم صوت طفولي مبهج يقول:
- أمي مولاتي الملكة الم تنتهي من مثألة ..مثألة ..ال ....ال
التزين تلك؟
قالها النوري بصوتٍ هامس وهو يحمل ذلك الطفل الصغير والذي اكتسب صفاته الجينية من والديه كعين النوري ولون بشرة نور ولون شعرها الكستنائي الجميل، تململ الطفل بين يدى النوري لينزله على الأرض بلطف، ليجري نحو نور بابتسامة واسعة قائلًا بتلعثم وهو محتضنها من قدميها:
-هيا يا أمي يوجد الكثير والكثير والكثير والكثير وال.....
قاطعه النوري بملل مصطنع:
- والكثير والكثير والكثير إلى ما لا نهاية، أعتقد أن الوقت حان لإطعام ذلك البطل أشهى الأطعمة، أليس كذلك يا سدن؟
ابتسمت سدن بتماسك قائلة:
- أجل يا سيدي إنه وقت الإطعام؟
ترفع ذراعيها في الهواء مستطردة:
- القوية التي جعلت من أميرنا رئبال أكبر وأقوى أمير بالعالم كله.
- حثنًا لنذهب إذًا يا مثاعدتي ثدن.
قالها رئبال الصغير وهو يرخي ذراعيه من حول نور، لتنحني له سدن وترفعه عن الأرض، ويخرجا وهم ينشدون النشيد الوطني ل(أشمهور) بكل حماس.
- آه، حمد لله، حقًا كنت أتمنى ذلك، أقول لكِ الحق بعد ذهابي مع فرقة الاستطلاع شعرت بوخز غريب في قلبي بعد أن تركتك وذهبت، أنتِ الوحيدة التي كانت تشغل كل تفكيري.

زفر مستطردًا:
- لم يكن أمامي أي خيار آخر سوى أن أكمل مهمتي بسرعة وأن أرجع مرة ثانية إليكِ، ولكن حدث ما لم يكن بالحسبان، فعندما وجدنا في طريقنا إلى (سدرام) جثة ذلك الرسول وكانت بيده رسالة إلينا، علمت أنها قد احتلت، لذا هممت أنا وفرقتي بسرعة للرجوع إلى (أشمهور) ولكن منعنا من الرجوع رسول بعثه لي رئبال يمنعني من الرجوع، كدت أجن كيف لا أرجع إليكم فلم أنصت إلى كلامه، لذا رجعت أنا وفرقتي إلى المملكة، وعلمت بما حدث وأنكِ قد أسرتي، وكانوا يبحثون عني في كل المملكة والممالك الأخرى.
أضاف بغضب:
- حتى أنهم نشروا مكافأة لمن يدلهم على مكاني، فبقيت مختبئًا أنا والفرقة إلى أن ذهبنا إلى (نبار) وأ....
قاطعته نور بصوت حنون:
- يكفي هذا، لا أريد أن أتذكر ذلك الماضي الأليم، والحمد لله قد تمكنا من التخلص منهم جميعًا ورجعت كل مملكة لحاكمها ومملكة (سدرام) رجعت للمك مداح، ونحن أرجعنا حقنا و(أشمهور) أصبحت بأيدينا، أليس كذلك؟
انحنى النوري ليقبل بطنها المنتفخ بقبلة حانية ليعتدل في وقفته وهو يمسح على وجنتيها بحنان قائلًا:
- الحمد لله يا نوري الصغير، نحن الآن في بداية حياة جديدة معكِ ومع ابنينا القوي رئبال وتلك المشاكسة القادمة في الطريق، وعلى ذكر الطريق هيا بنا الآن فقد يصل الملك مداح إلينا في أي وقت.
ابتسمت نور بهدوء وهمت بالخروج معه لكنه أوقفها عن الحراك ليردف بغيرة:
- ولما أنتِ بكل هذا الجمال ها؟ لما تزدادين جمال على جمالك هكذا؟ سأذهب أنا وابقي أنتِ لن تخرجي أبدًا أبدًا مدى الحياة، وهذا هو قراري.
اقتربت نور منه لتردف بمشاكسة طفولية:
- رئبال يريد أن أشاهده وهو يركب الفرس، وإن لم أفعل سيحزن وأنا أيضًا سأحزن، نهون عليك يا سيد نوري؟ ها أجبني.

ابتسم النوري من أسلوبها في الحديث ليطبع قبلة طويلة على جبينها قائلًا بحب:
- وأنا لا أقدر على حزن رئبالي ونوري الصغير.
أمسك كفها وتشابكت يداهما معًا، ليبدأ عهد جديد على مملكة (أشمهور)، وتشرق الشمس من جديد على المملكة وعلى شعبهاو
تمت بحمد الله

فصلة

للنشر و التوزيع

Fasla Publishing & Distribution

تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com

Facebook .Com/Fasla .Pub